بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

بمناسبة قرب استشهاد الإمام الحسين (ع) أريد أن أتحدث هذه الليلة[1] عن بعض الأمور التمهيدية التي أفكر أنها مفيدة لنا إن شاء الله

في كل حديث يجب أن يكون هناك منطلقات، تلك المنطلقات تعتبر الأصول الموضوعية التي يُفترض سلامتها وصحتها وثبوتها، مثلا حينما نحن نتحدث عن الإمام الحسين (ع) فنفترضه إماما، فإمامته مفترضة، ويُفترض أن قبله نبياً، فيفترض أن هناك رباً، والحديث مبني على هذه الافتراضات المتسلسلة المترابطة، بطبيعة الحال من الضروري أن الإنسان يعرف الله ويؤمن به تعالى ويعرف النبي ويؤمن به (ص)، ومن الضروري أن يعرف أن الحسين (ع) إمام، فنحن حينما نتحدث عن الإمام الحسين (ع) لا نستدل على إمامته ونثبتها بل نفترضها افتراضا يعني نفترض أنها هي ثابتة وصحيحة لديك وأنك مؤمن بتلك الأمور وأنا كذلك مؤمن بها، فنفترضها ثابته عندنا ومن هنا نبدأ الحديث

يُذكر في بعض الزيارات المأثورة للإمام الحسين (ع): (وأشهد أنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي)[2]

الإياب يعني الرجوع، الرجعة –بإجمالها– من المعتقدات التي توجد في الوسط الشيعي، قد يأتي إنسان فيقول: المقصود بالرجعة وروايات الرجعة هو رجوع نفس أشخاصهم (ع)، لا أن المقصود بالرجعة هو رجوع رسالتهم وولايتهم وإمامتهم فتكون متجسّدة في الإمام القائم (عج) وتوجد على هذا الأمر بعض الأدلة والنصوص –لا أريد الآن أن أتحدث عنها–، على أقل التقادير سواء كانت الرجعة عبارة عن رجوع أمير المؤمنين (ع) بنفسه الشريفة والأئمة (ع) أم عبارة عن رجوع إمامتهم وولايتهم، القدر المتيقّن أن

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) تهذيب الأحكام (٦/١١٤)

إمامتهم وولايتهم ترجع، في نهج البلاغة: (لتعطفنّ علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، ثمّ تلى الآية الكريمة "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ")[٣]، بوادر رجوع ولاية الأئمة (ع) وإمامتهم موجودة الآن للإنسان الذي يُبصر، البشرية سوف تصل –بدرجة– إلى ولاية رسول الله (ص) وأهل بيته الطاهرين (ع)، (مؤمن بشرائع ديني وخواتيم عملي)، موقن بإيابكم مؤمن بكم، تارة الإنسان يؤمن بشيء ويعتقد به لكن هذا الشيء لا يقع ضمن أساسيات دينه وأساسيات حياته، قد يوجد هذا الشيء في حياته لكن إذا يُؤخذ ويُحذف من حياته لا يؤثر كثيرا عليه فلا تهتز حياته، وحتى إذا اهتزّت فحياته لا تتغير، فالإنسان تارة يؤمن بشيء فيهتم به ويعطيه قيمة لكن هذه القيمة ليست كبيرة، وتارة أخرى يؤمن بشيء ضمن أساسيات حياته

الشريعة ربما معناها مثل حينما النهر يجري في المنطقة –مثلا نهر الفرات حينما يجري– فهنالك أماكن معيّنة فقط مُهِّدت للاستفادة من هذا النهر، الأماكن التي شُرِّعت لأن يأتي الإنسان منها إلى النهر ويستفيد منها، هذه المنطقة تسمى بالشريعة، الشرائع تعني الأماكن التي الإنسان يستقي منها، من هذا النهر من هذا المصَب أو من هذا البحر، الإنسان يكون مؤمناً بالحسين (ع) وبأمير المؤمنين (ع) وبالأئمة الآخرين (ع) لا على هامش الحياة فقط أو ضمن مسائل أخرى في حياته، بل يؤمن كشرائع يعني هو يتعامل مع الله مع الرسول (ص) مع القرآن مع الدين ككل، عن طريقهم (ع) عن طريق ولايتهم، فمن دونهم لا يوجد له طريق صحيح لأن يأتي الدين، فهُم (ع) بالنسبة له أبواب الأشياء والطرق إلى الله، هذا لابد أن نعرفه

نأتي الآن إلى الواقع الموجود –هذه قضية تجريبية– التعامل الآن مع الإمام الحسين (ع) عند كثير من الناس ليس كشريعة فالإيمان به (ع) لا يكون باعتباره أساسا رئيسيا في دينهم، لا يُتعامَل معه (ع) بشرائع دينهم –حسب فهمي هذا لا يُشك به إلا نادرا– السبب ما هو؟ أريد أن أتحدث عن هذا

في أوقات سابقة ذكرت –وحتى لو لم أذكر فأي إنسان عاقل متدبّر يعرف هذا الأمر– أن الولاية هي عبارة عن مظهر طبيعي للدين يعيشه كل إنسان متديّن، لا يوجد هنالك إنسان من دون دين، فمادام

---

[٣] نهج البلاغة (حكمة ٢٠٩)

يوجد له دين فتوجد له ولاية في نفس اتجاه هذا الدين[٤]، بشكل طبيعي الإنسان يبحث عن معالم لهذا الدين وينجذب إليها، إذن لا يوجد هنالك تعامل شرائعي مع الإمام الحسين (ع)، على الرغم من أنه (ع) هو أبرز إمام بلحاظ علاقة الناس به عاطفيا[٥]، مع ذلك لا يوجد تعامل شرائعي معه، فأين الخلل؟

ذكرت في أوقات سابقة أننا حينما نتحدث عن ولاية الحسين (ع) –عن إمامته– لا نتحدث عنه كشخص وإنما نتحدث عنه كولي، كحلقة ضمن سلسلة مترابطة، فأيٌّ من الأئمة (ع) هو يعكس كلهم وجميعهم، فيجب –حسب ما أعتقد به– أن يتوفّر شرطان للتعامل مع الإمام الحسين (ع) بهذه الطريقة:

الشرط الأول: يجب أن يكون الإنسان حراً في فطرته –وأن لا تكون نفسيته متلوثة– فيكون من مصاديق الآية الكريمة (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)[٦]، الفطرة الصادقة – الفطرة الحرة– هي الفطرة التي لا تشك في الله تبارك وتعالى كربّ فتتعامل مع كل الأشياء من هذا المنطلق هذا هو الأصل، ترى المصير والمرجع إلى الله تعالى، إليه تصير الأمور وإليه ترجع الأمور، إذن هذه الفطرة هي فطرة حرّة، فما تجده وجه الله تبارك وتعالى تسلكه، والتدرّج ضروري (اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللهم عرفني نبيّك فإنك إن لم تعرفني نبيّك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك)[٧]، هذا المقطع من الدعاء حتى إذا لم يكن معتبرا فمضمونه صحيح، وتوجد عليه روايات كثيرة، ويستطيع الإنسان أن يتعقل هذا ويعرفه

هكذا التسلسل والتدرّج، الله تعالى يُعرف، وجه الله يُعرف، الحق يُعرف، المقاييس تُعرف، الحجة تُعرف، فإذا الإنسان عرف الله وعرف وجه الله وطريق الله هنالك يعرف السالكين في هذا الطريق ومعالم هذا الطريق، الإنسان إذا لا يعرف الله لا يعرف وجه الله ولا يهتم فهذا الإنسان لا يتعامل مع الحسين (ع) تعاملاً شرائعياً –لو صحّ هذا التعبير– وبيّنت لكم ما أقصده، فالإنسان المؤمن –خصوصا في هذه المناسبة

---

[٤] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت١ – الفكر والإيمان**، فصل (**جميع الناس مؤمنون**)

[٥] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين (ع)**)

[٦] (الزمر: ١٧-١٨)

[٧] الكافي (١/٣٤٢)

وفي هذه الذكرى- يراجع نفسه هل هو يعرف الله تعالى كرَب؟ -بالمقدار الذي يتسنّى للإنسان المؤمن-، ذلك التخبّط الذي يجده الإنسان في بعض الكتب وفي بعض المحاضرات أن الإنسان يصل إلى الله ويعرفه معرفة كاملة هذا ليس ميسورا أبدا للإنسان وإنما يعرفه تعالى كرَب، توجد روايات تنهى عن التعمُّق في ذات الله تبارك وتعالى، الإنسان لا يستطيع أن يعرف الله حق معرفته، إنما يعرف بمقدار ما هو رب ويعرف الطريق إليه، لابد أن يراجع نفسه هل هو يعرف هذا الأمر أو لا؟ هل بحث؟ هل حاول؟ أم لم يهتم أبدا وإنما تعامل مع كل شيء كقضايا ثابتة من دون أن يتحرّك على أساسها! فلم يتعامل مع الأشياء كدين وكطريق وكصراط إنما كأشياء جامدة! الحسين (ع) كما كان بالنسبة له قبل عشرين سنة مازال هكذا، ما اختلف بالنسبة له! تعامله مع الدين قبل عشرين سنة والآن ما اختلفا! هذا الشرط الأول وهذا شيء مهم فلا يمكن لإنسان أو لموجود في العالم أن يغيّر إنساناً ويوفّر هذا الشرط فيه إلا أن هو يسعى بنفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٨]، هذا الشرط الأول

الشرط الثاني: هو معرفة ولاية الإمام الحسين (ع)، قد يذكر الإنسان الله تبارك وتعالى لكن لا يجد في الحسين (ع) الولاية في هذا الطريق فيتصنّع الارتباط به (ع) من منافذ مختلفة، من منفذ عاطفي يتفاعل معه، من منفذ تراث يتفاعل معه، من منفذ الناس يتعامل معه، يجتمع في مجلس فالناس يتفاعلون هو كذلك يتفاعل يعني أنه يعمل شيئا معيّنا فقط، عمل مبتور! مثلا حينما يحترم شخصا يحترمه احتراما مبتورا في أشياء معيّنة هذا هو التصنّع، نفترض يتصنّع الارتباط بشخص لا أنه في واقع حياته مرتبط به

أما إذا كانت الحركة حركة طبيعية كشجرة، فكل شيء في حياته يتأثر بهذه الشجرة، فإذا لا يعرف الإمام الحسين (ع) لا يتّخذه وليّاً هذا شيء طبيعي[٩]، وباعتبار أن قضية الحسين (ع) مطروحة ومن الضروري أن يتفاعل معها الإنسان -كما قلت- فيوجِد منافذ متصنّعة، فلا يُتعامل معه كإمام لأن التعامل مع أحد كإمام لا يُتصنّع، فمادام يوجد دين -والدين قطعاً يوجد في قلب أي إنسان- فيوجد له أولياء، من الممكن لأي إنسان إذا بحث عن الحسين (ع) سوف يجد فيه معالم تلك الطريقة ومعالم ذلك الدين، معالم الطريق إلى الله يجدها في حياة الحسين (ع)، هنالك خصوصيات معيّنة موجودة فيه (ع) لكن الإنسان لا يبحث عن معالم

---

[٨] (الرعد: ١١)

[٩] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**لابد من معرفة الإمام**)

ولايته ولا يبحث عن إمامته، أكثر الناس هكذا! يوجد دين توجد حركة لكن الحسين (ع) لا يُعرف! يُبكى عليه بكاءً عاطفيا فقط ليس ناتجا عن الدين! فهذا البكاء لا يربطه به (ع)، الإنسان قد يبكي على شيء وقد يبكي على أشياء وعلى أشخاص لكن لا يتديّن بها ولا يتولاها، وكدليل على ذلك أن الحسين (ع) لم يؤثر عليه كشيء أساسي في حياته فيغيرها! من الممكن أنه يؤثر عليه حينما يبكي في مجلس، والبكاء أساسا – بشكل طبيعي– يؤثر على الإنسان فيُخفف عنه، يعني يرخّيه ويؤثر على قلبه، بهذا المقدار أكثر من هذا لا يوجد!

أنا أدعوكم في هذه المناسبة لعمل هذين الأمرين: مراجعة النفس ومحاسبتها: هل أنا حر؟ كل شيء أستطيع أن أتساءل عنه تساؤلا طبيعيا واقعيا، أم أتعامل مع الأشياء بموقف ذهني مسبق؟ ثم بعد ذلك هل أنا أعرف الطريق إلى الله؟ هل عندي مقاييس؟

وفي المرحلة الثانية أدعوكم للاطلاع الصحيح على هذه المرحلة، حياة الإمام الحسين (ع) تنقسم إلى قسمين رئيسيين، قبل مسيره إلى كربلاء وبعد المسير، قبل مسيره إلى كربلاء إلى قبل السنة الستين من الهجرة –باستثناء ما يُذكر بعض الأشياء عن ارتباطه برسول الله (ص)– لا يوجد هنالك نصوص كثيرة عن حياته، أما في هذه المرحلة المضغوطة –بعد المسير– فتوجد شواهد وأدلة كثيرة، الإنسان العاقل الحر الذي يبحث سوف يجد فيها معالم لولايته ولولاية الأئمة (ع)

أدعوكم للاطلاع والتدبُّر والتفكُّر، ذكرت سابقا أن من الأشياء التي يجب أن تلحظ في معرفة الإمام الحسين (ع) وللتعامل معه كإمام –لا فقط من منفذ العاطفة والبكاء– يجب أن يُعرف (ع) من خلال القرآن الكريم ويُبحث في التاريخ كوارث للأنبياء، خصوصا إبراهيم (ع) الذي نجد معالم ولايته وإمامته في القرآن الكريم، وإن شاء الله في الليالي الآتية أحاول أن أتحدث عما يوضح لنا لأن نتعامل مع الحسين (ع) كمصباح هدى، ومن المؤسف أن يكون الحسين (ع) مصباح الهدى ونحن لا نُبصره، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

أتحدث هذه الليلة[1] باختصار وأحاول أن أوضح بعض النقاط من مسيرة أبي عبدالله الحسين (ع) والتي أراها مفيدة، أنقل أو في الحقيقة أختار أحداثا تاريخية ثم أربطها مع بعضها لأشكِّل بها صورة أراها هي الصورة الصحيحة لما جرى في هذه الحادثة

هنالك مشكلة أواجهها في حديثي وهي أن الخلفية التاريخية التي أذكرها إنما هي موجودة في ذهني وعلى أساسها أتحدّث، وهنالك معلومات تاريخية أنا أُغفلها لأن التاريخ تعرّض لكثير من التشويه والتزييف، بعض الحضور يعتمدون عليّ في هذه الخلفية وفي ربط المسائل بعضها ببعض، وهذا خطر جداً، لأني لا أستطيع أن أنقل كل تلك الخلفية التي أبني كلامي عليها، فإذا الشخص تعقّل يجد أن هذه المسائل والأحداث التاريخية التي أنا أذكرها قد لا تكفي لهذه الصورة التي أطرحها

بالإضافة إلى ذلك هنالك معلومات أُهملها وقد تعطي صورة أخرى عن الإمام الحسين (ع) إذا ربطت مع بعض، فبطبيعة الحال من لا يعرف هذه الخلفية لن تكون الصورة التي أطرحها له صورة صائبة وصحيحة حتى إذا كانت الصورة معقولة، لأن المواد التي بُنيت على أساسها هذه الصورة مواد غير دقيقة وغير مبحوثة بالنسبة له، ومن نتائج هذا النوع من التعامل مع الأحداث هو أن أي شخص من الممكن أن يأتي فيقول لك أن هذه المعلومة غير صحيحة، فالصورة كلها تهتز، هذه المشكلة قد لا تكون موجودة في أحاديث أخرى لكن في أحاديثي أنا عانيت وأعاني منها، أناس يعتمدون فقط على خلفيتي التي أنا أطرحها من دون أن يقرأوا أو يبحثوا بأنفسهم! فأنا أتأذى كثيرا من هذا الأسلوب وأعلم بأنه خطر جداً، فأود أن تقرأوا بدقة حياة الإمام الحسين (ع) وتقرأوا قضايا تاريخية أخرى مرتبطة بهذه المسيرة –على أقل التقادير– حتى تتكون لكم صورة

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٣٠ ذي الحجة ١٤١٤ هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

مثلا أنا حينما أتحدث عن مسألة (أ) ومسألة (ب) ومسألة (ج) ثم بعد ذلك أُغفل بعض المسائل، فحينما أبني على أساسها صورة فأنت تستطيع أن تفهم بأن هنالك مسائل أخرى تؤيد هذه الصورة أو تكون لديك صورة عن المسائل المضادة، أساسا أنتم تعلمون أني أستهدف من أحاديثي المساهمة في تحرير أذهان المؤمنين وتوجيهها توجيها حرا صحيحا، ولا أريد أن أُملي على أحد صورا أنا بحثتها واقتنعت بها! هذا لا أريده، لو كنت أريد هذا لكان هنالك طرق ومنافذ أخرى تساعد في إنجاح هذه العملية أكثر، أدعوكم للقراءة، لا يمكن أن يحصل الإنسان على العلم والرؤية والبصيرة إلا بأن تكون لديه خلفية، هذه النقطة ضرورية

تأكيدا لهذا الأمر أقول: نفترض هنالك صورة ناتجة في ذهني عن قضايا أو أحداث تاريخية كثيرة أنا مدّة بحثتها وغيّرت مواقع هذه الأحداث في ذهني وربطت هذه الأحداث بطريقة معينة إلى أن استطعت بالتدريج أن أحصّل على صورة، فحينما أتكلّم مع أناس قد لا تكون لديهم أيّةُ صورة عن تلك الأحداث ولا يعرفون تلك الأحداث فيعتمدون عليّ! كما قلت هذا يؤذيني كثيراً ويجعلني أتردد كثيراً في الحديث فلا أتشجّع، أود لو أن كل واحد منكم يبيّن لي أن ذلك النص التاريخي أو تلك الحادثة التاريخية –مثلا– تتنافى مع هذه الصورة، هذا إن شاء الله نحاول أن نفعله

كما أشرت في الحديث السابق أن حياة الإمام الحسين (ع) تنقسم إلى قسمين رئيسيين، القسم الأول ينقسم إلى عدة أقسام، عاش الإمام الحسين (ع) في ظل رسول الله (ص) ست سنوات وأشهُر كما ينقلون، بعدئذٍ في عهد الخلفاء، بعدئذٍ في عهد أمير المؤمنين (ع)، بعدئذٍ بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) مدة عشرين سنة في المدينة، هذه مقاطيع مختلفة من حياته الشريفة، هذا كله أعتبره القسم الأول، والقسم الثاني هو الذي يبدأ بعد موت معاوية في منتصف شهر رجب من سنة الستين، ويستمر إلى اليوم العاشر من شهر المحرم من سنة إحدى وستين

في القسم الأول من حياة أبي عبد الله الحسين (ع) لا توجد إلا نصوص قليلة جداً، المفروض أن تكون لك صورة عن هذه المسألة، وحتى أستطيع بعدئذٍ أن أطرح هذا التساؤل: هل قلّة النصوص عن حياة الإمام الحسين (ع) –خصوصاً بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) مدة عشرين سنة في حياة معاوية– بسبب أنه

ساير الوضع؟ أي أنه استسلم للأمر فأصبح كأيّ شخص مثل الآخرين فأُهمل كمئات الآلاف من الناس الذين كانوا يعيشون؟ ربما كان هنالك عشرات الآلاف من الأشخاص يعيشون في المدينة ولا يذكرهم التاريخ لأنه لا يوجد لهم أي ظهور، هل هكذا كان؟

أم أن الإمام الحسين (ع) –وكذلك الإمام الحسن (ع) إلى أن توفي– كان يطرح شيئا وكانت حياته تختلف عن الحياة العامة ولم يكن خاضعا تماما للوضع القائم لكن الناس ما كانوا يهتمّون بهذه الأشياء التي كانت تخالف الوضع القائم، مثلا أقوال الإمام الحسين (ع) كانت تُعتبر أقوالا شاذة في نظر الناس وبعض تصرفاته كانت تُعتبر خارجة على القواعد العامة آنذاك، عادة هذا النوع من التصرفات يُهمل ولا يركّز عليه الناس، التاريخ لا ينقلها إلا أن يترتّب عليها آثار معيّنة، هل كان هذا؟ أم ذاك؟

حسب فهمي الشخصي أنه كان الأمران معاً، من جانب كان الإمام الحسين (ع) مُستضعفا فكان يعيش وينسِّق ظاهريا –عمليا، سلوكيا– مع الإمامة المتجسّدة في معاوية، إمامة معاوية كانت إمامة الدنيا، بطبيعة الحال كان هنالك اعتقاد بالآخرة وكانت تُطرح الآخرة، لكن الآخرة التي يجب أن لا تصطدم مع الدنيا، لا أريد أن أتحدث عن هذا الآن

ومن جانب آخر أن الإمام الحسين (ع) –قطعاً– كان يستغل أيّة فرصة ليُبدي ويُظهر أنه ليس ذائباً في هذا الوضع القائم وأنه ما زال إماما، ولو أن المجتمع لم يكن يعترف بإمامته فلا يتخذه إماما ولا يتأسى به ولا يتّبع وجهته، وكان الإمام (ع) يبيّن أن الإمامة الموجودة ليست إمامته، يُذكر أن مروان كتب إلى معاوية حول ما يقوله الإمام الحسين (ع)، في هذا النص لا تُذكر مواقفه وأقواله، فمعاوية كان يكتب إليه (ع) أنه هكذا بلغني وهكذا بلغني، فالجواب الذي يُذكر للإمام الحسين يدل بشكل واضح أنه (ع) لم يستسلم[٢]، وهذا نحن نعلم به حتى إذا لا يوجد أي نص، هذه الأشياء أُهملت ولم تُنقل، كذلك كثيرون من الناس كانوا يخافون من نقلها

في القسم الثاني من حياة الإمام الحسين (ع) فرض نفسه على المجتمع، الإمام الحسين (ع) حينما لم يبايِع لم تكن المسألة فقط أنه رفض بيعة يزيد وإنما رفض القيود كلها، فهنا حاول أن يجسّد رغبات نفسه

---

[٢] تفسير العياشي (١/٣٦٢)

الشريفة كإمام، تطوّرت هذه المرحلة بالتدريج، بدأت من المدينة إلى أن وصلت إلى كربلاء، وكذلك كانت في صعود إلى ليلة العاشر واليوم العاشر من المحرم، في هذا القسم من حياة الإمام الحسين (ع) توجد نصوص كثيرة عنه، وهذا المقطع الذي فرض نفسه على المجتمع وعلى التاريخ، يوجد كثير من التشويه فالإمام الحسين (ع) لم يُحارَب فقط في كربلاء وإنما حورب في طول التاريخ، فكانت هنالك محاولات لتشويه حركته

من طُرق التشويه هي أننا لو نجد مثلا عشرة نصوص تُنقل عن حياة الإمام الحسين (ع) عن أقواله وعلى الأكثر تصرفاته، أنه أكل الطعام الفلاني أو لبس الثوب الفلاني أو عامل الشخص الفلاني معاملة معيّنة، عشرة نصوص كلها تتحدث عن هذا ونفترض أننا اعتبرنا أن هذه النصوص كلها صحيحة –هنالك كثير من الأكاذيب دخلت هذا القسم من حياة الإمام (ع)– هناك أنت تستطيع أن تركز وتجعل من هذه النصوص العشرة عشرة صور، كيف تنظمها؟

فإذا النص (أ) جعلته الأساس، فالصورة سوف تصبح منصبغة بصبغة النص (أ)، وإذا جعلت النص (د) هو الأساس فالصورة ستنصبغ بهذه الصبغة، إذن تستطيع أنت بسهولة أن تحصّل على عشر صور، تُعطي عشر صور لشخص واحد، هكذا كان أم هكذا كان، فكيف نحصل على صورة والنصوص كثيرة وهنالك الكثير من الأكاذيب؟ والأكاذيب التي صُنعت ووُجدت لم تقتصر على انتحال نصوص أو أقوال أو وضع تصرفات ينسبونها إلى الإمام الحسين (ع)، بل التشويه حصل بتغيير مواقع هذه التصرفات، وإذا وُضع نص واحد في موقع معيّن فالصورة كلها تتغير بذلك[٣]، يجب أن ننتبه إلى هذا

ماذا نفعل حتى نحصّل على الصورة الحقيقية لحياة أبي عبد الله الحسين (ع) وقيامه وأبعاد تلك الحادثة وهدفها؟ ماذا نفعل؟ أدعوكم مرة أخرى للتفكّر والتعقّل، والتفكّر والتعقّل لا يمكن إلا بالاستعانة بالقرآن الكريم والقضايا التاريخية وكذلك التجارب الإنسانية

والسلام على الحسين وعلى أهل بيت الحسين وعلى أصحاب الحسين، السلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا، والحمد لله رب العالمين

---

[٣] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين عليه السلام**)، في (**أمثلة وتطبيقات**) ص٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

السلام على الحسين الشهيد قتيل العبرة وأسير الكربة، السلام على الحسين الغريب، السلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً، السلام عليه وعلى أصحابه العظام، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً

أريد أن أكمل الحديث[1] عن مسيرة الإمام الحسين (ع) –القسم الأخير من حياته الشريفة– ابتداءً من امتناعه عن بيعة يزيد وانتهاءً باستشهاده (ع) في اليوم العاشر، بل انتهاءً بخروج أهل بيته من الشام، أتحدث وفي كل خطوة أوضح بعض النقاط التي أرى توضيحها ضروريا ونافعا

بعد وفاة رسول الله (ص) بخمسين سنة كان الوضع قد تغيّر كثيرا، الجيل الذي عاصره (ص) إما تُوفي أو إذا كان باقيا كان قد ابتعد عن الساحة، وأتى جيل جديد قد تربى في ظل إمامة أخرى تختلف عن إمامة رسول الله (ص)، الإمامة هي المسار والاتجاه وهي الجهة والوجهة[2]، كانت إمامته (ص) في اتجاه الله تعالى واليوم الآخر، فالتعامل كان وفق تلك الإمامة، وكان التعامل مع الدنيا بمقدار ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، فإذا دقق الإنسان سوف يجد أن رسول الله (ص) كان في حالة حرب مع الاتجاه الآخر والذي كان يزيِّن الدنيا

ذلك الاتجاه الآخر الذي كان تحت السيطرة وكان محارباً من قِبل رسول الله (ص) برز مرة أخرى بعد وفاة رسول الله (ص) واستمر إلى عهد عثمان حيث تبلور ذلك الاتجاه أكثر، بقي الإسلام بمظاهره لكن الاتجاه أصبح اتجاهاً غير إلهي، الناس ما كانوا يبحثون عن سبيل الله بشكل صحيح

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ١ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت ١ – الفكر والإيمان**، فصل (**جميع الناس مؤمنون**)

بعد مقتل عثمان، أمير المؤمنين (ع) حاول أن يُرجع الأمر إلى عهد رسول الله (ص)، استطاع أن يفعل ذلك في النفوس[٣] لكن كظاهرة اجتماعية لم يستطع أن يفعل، استشهد أمير المؤمنين (ع) واستولى معاوية على الحكم بعد مدة قصيرة من ولاية الإمام الحسن (ع)، تولى معاوية الحكم وبقي حوالي عشرين سنة والياً مطلقاً على العالم الإسلامي المترامي الأطراف

كما قلت في وقت سابق، المفروض أن الإنسان المؤمن يقرأ هذه القضايا التاريخية فمن الضروري الاطلاع عليها، وأنا حينما أنقل لكم معلومات تاريخية من المهم أن الإنسان في خلفيته التاريخية –على أقل التقادير– لا يعتمد على غيره، فحديثي على الأكثر يكون ناتجاً عن خلفيتي وانطلاقاً من تصوراتي الشخصية وقراءاتي، –أنا أفكر بأن هؤلاء الذين كانوا في ذلك الحين هم لا يختلفون عنا الآن، هنالك قضايا مشتركة بيننا وبينهم، فالإنسان إذا استطاع أن يعرف نفسه يعرف غيره، بفوارق بطبيعة الحال–

في هذه الفترة كان من الواضح أن معاوية كان يريد أن يجعل الوضع هرمياً، يكون هو في القمة والناس ذوو الشرف تحته –قريش ورؤساء العشائر الكبيرة– وكذلك أشخاص آخرون كانوا حوله، ثم بعد ذلك تأتي القاعدة العامة التي فيها المَوالي

المَوالي هم هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام ضمن الفتوح[٤]، لأن الفتوح كانت مستمرة، وفي المناطق التي حصلت فيها الفتوح كان هنالك نصارى ومجوس، فالنصارى كانوا يُخيّرون بين أن يدفعوا الجزية ويبقوا على نصرانيتهم أو يدخلوا في الإسلام، قسم منهم دخلوا في الإسلام وقسم منهم بقوا على نصرانيتهم فكانوا يدفعون الجزية، أما المجوس فهنالك كان خلاف، على الأكثر بلاد فارس دخلت في الإسلام وقليل منهم بقوا على مجوسيتهم، هؤلاء يسمّون بالموالي، هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام حديثا بالتدريج بدأوا يشكلون الأكثرية في البلاد، قسم كبير منهم أصبحوا متدينين لكن بالتديُّن المتعارف في ذلك الحين، وقسم كبير منهم لم يتعاملوا مع الدين بجد، قبل دخولهم الإسلام كانوا يفعلون أشياء باسم الدين، الآن كذلك بدأوا يصلون ويصومون ويحجّون ويعملون أعمالا أخرى لكن

---

[٣] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**للعتاب سهم**)

[٤] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**الفتوح**)

بقي الدين غير داخل في قلوبهم (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)[٥]، هؤلاء كانوا حسب الظاهر مسلمين وما كانوا يعرفون عن مسألة الولاية شيئا، يعني ما كانوا يهتمون بهذه الأمور الدينية حتى يبحثوا عنها، وإذا كانوا يبحثون فعلى الأكثر ما كانوا يجدون الطريق، فكانوا مستضعفين، في هذه الفترة وُجدت مجاميع كبيرة من المسلمين لا مبالين، إذا وُجد إنسان يقودهم إلى الدين ينقادون، وإذا وُجد إنسان آخر يقودهم إلى اتجاه آخر ينقادون، لا يهمهم أي شيء، هذا شيء طبيعي بالنسبة لهم

حينما أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد واجه بعض المشاكل والاحتجاجات، يُنقل أن يزيد كان مترفاً وكان عنده فهد وقرد وكان يلعب بالكلاب ويشرب الخمر وأمثال ذلك، ويُنقل أن والدته (ميسون البحدلية) كانت نصرانية أساساً، وهو تربى في بيئة نصرانية، وعلى الرغم من أن الأمة في ذلك الحين تغيّرت تطلعاتها كثيرا لكن مع ذلك حينما أراد أن يأخذ معاوية البيعة ليزيد واجه بعض المشاكل والاحتجاجات لعاملين رئيسيين:

العامل الأول: هو أن هذا النمط من البيعة كان نمطا جديدا، فبعد وفاة رسول الله (ص) حتى ذلك الحين لم يدّع الخلفاء أن رسول الله (ص) أوصى إليهم بالخلافة، هناك بعض المحاولات لكن هذه المحاولات كانت فاشلة، كانوا يقولون بأن رسول الله (ص) لم يوصِ لأحد ولم يعيّن خليفة، أبوبكر عيّن خليفة لكنه لم يعيّن ابنه ولا أحد من أقاربه، عمر بن الخطاب عيّن الخلافة في ستة أشخاص وهم أصحاب الشورى، بعد عثمان تولى أمير المؤمنين (ع) الأمر من دون أن يوصي عثمان إلى أحد، أمير المؤمنين (ع) كذلك لم يوصِ بالخلافة الظاهرية لأحد، ولم يأخذ ولم يطلب أن يُبايَع الحسن (ع) بالخلافة، بطبيعة الحال كان قد أوصى بإمامته وأعلنها، لكن أنه هو يُتولى ويُجعل واليا وخليفة هذا لم يفعله، لأول مرة معاوية أراد أن يولّي ابنه، هذا يعني وراثة الخلافة وراثة الولاية وراثة الإمارة، هذا يعني أن معاوية يريد أن يطبِّق النظام القيصري والكسروي، إذا مات قيصر خلفه ابنه، إذا مات كسرى خلفه ابنه، هذا أحد العاملَين

---

[٥] (الحجرات: ١٤)

والعامل الثاني: هو أن سلوك يزيد أساساً لم يكن متناسباً مع تطلعات الناس إلى الخلافة، فمعاوية كان يعامل الناس بدهاء، وكان يُظهر الوقار والرزانة، فالناس كانوا يتوقعون أن الخليفة بعد معاوية يكون مثله، ويزيد كان شاباً مترفاً وما كان يُخفي ترفه، ما كان يجد مبرراً لأن يُخفي ترفه، لكن استطاع معاوية –بتخطيط– أن يُخضع الناس لهذه البيعة، فبايع الناس يزيد وبقي فقط ثلاثة أشخاص لم يبايعوا[٦]

عبد الله بن الزبير لم يبايع ليزيد لأنه كان يريد الخلافة لنفسه، أساسا هو كان إنسانا طموحا، وكان ابن أخت عائشة وكانت تؤيده كثيرا، ومن جانب آخر كان جده أبوبكر وكانت أسماء بنت أبي بكر موجودة ولها رصيدها التاريخي، بالإضافة إلى أن أباه الزبير له رصيد تاريخي مهم، وكان هو في نفسه إنسانا له ثقافة إسلامية كبيرة وكان طموحا وكان قوي الشخصية كما يُنقل

عبد الله بن عمر كان يجسِّد تيارا كبيرا في ذلك المجتمع وهو التيار المتديّن، فكان مثقفاً بثقافة فقهية، كان يروي روايات كثيرة أكثرها رؤيته ومشاهداته لرسول الله (ص)، رأيت رسول الله يفعل هكذا ورأيت رسول الله يفعل هكذا، وكان حسب الظاهر إنسانا ملتزما وورعا ويعيش بعيداً عن العالم، حتى بعض القضايا التي تُنقل عنه –ربما هذه القصة لا تكون صحيحة لكن أساساً هذا النمط من الناس هكذا يكونون– يُنقل أن في المدينة انتشر الغناء فيقال (أن عبد الله بن الزبير كان له جوار عوّادات، وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله إياه فتأمله ابن عمر فقال: هذا ميزان شامي، قال ابن الزبير: يوزن به العقول)[٧]، فهو تصوّره شيئا بعيدا عنه، كأنه لا يعرف أصلاً أدوات الغناء، شيء طبيعي هذا النمط من الناس، كان كثيرا ما يحج ويعتمر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكن بحدود بطبيعة الحال وفق الطريقة المقبولة اجتماعيا، لم يبايع لأنه كان يرى أن الناس يجب أن يبايعوا كلهم حتى هو يبايع، وما كان يُخاف منه

---

(٦) تاريخ الطبري (٣٣٨/٥)

(٧) نيل الأوطار للشوكاني (٢٦٥/٨)

الإمام الحسين (ع) هو الثالث، يُنقل أن معاوية كتب في وصيته إلى يزيد –لأن يزيد كان في مكان بعيد عن دمشق حينما مات معاوية– أوصى والوصية كانت غامضة، في هذه الوصية تنبّأ أن الإمام الحسين (ع) سوف يحثُّه أهل الكوفة على الخروج ويجعلونه يخرج عليه فلا يُبايع[٨]، وقد يكون هذا صحيحا أنه لو كان معاوية مكان يزيد لما قتل الحسين (ع)، فمعاوية كان يعرف أن مقتله (ع) ليس كمقتل حجر بن عدي، وليس كمقتل عمرو بن الحمق، هؤلاء الصحابة الكبار الذين قتلهم ولم يحصل أي شيء، لكن معاوية كان يعرف بأن الأمور لا يمكن أن يُتعامل معها بشكل متجزئ: مثلا يزيد، الأوضاع المستقبلية، الإمام الحسين (ع)، مواقف أهل الكوفة، كل هذه الأشياء سوف تتدخل، فهو لم ينصح يزيد بنصيحة محددة واضحة

في هذا العالم الواسع كان هنالك كثير من الناس لم يبايعوا يزيد بن معاوية، لكن هؤلاء أكثرهم كانوا لا يبالون أو كانوا تبعاً للأشراف فما كان يُطلب منهم أن يبايعوا، هنالك كثير من المسلمين الذين دخلوا في الإسلام جديدا، هؤلاء كانوا يتعاملون مع هذه الحرب كقضية لا تخصُّهم ولا تهمهم، قضايا أمير المؤمنين (ع) وقضايا معاوية لا تهمهم كدين، لو كانت هذه الأمور تهم الإنسان كدين المفروض أنه يبذل لها وقتا، فيبحث ويقرأ عنها ويهتم بها وأمثال ذلك

الإمام الحسين (ع) لم يبايع، البيعة في ذلك الحين كانت تعني الطاعة المطلقة، فكان يصبح الحسين (ع) مثل عبد الله بن عمر، حتى بعض نصائح عبد الله بن عمر وبعض مواعظه كانت تُقبل لأنهم كانوا يعرفون عبد الله بن عمر، تلك المواعظ وتلك النصائح المحدودة كمواعظ ونصائح فقط: يا ناس اتقوا الله. وهذا لم يكن يُقبل من الإمام الحسين (ع)، لأنه (ع) كان يشكّل طريقاً وكان يعني شيئاً آخر غير ما كان يفعله عبد الله بن عمر، رفض الإمام (ع) البيعة فيُنقل أنهم أرادوا قتله، كيف؟ هل يغتالونه أو يقتلونه بصراحة؟ أنا لا أدري

---

[٨] تاريخ الطبري (٣٢٣/٥)

كان هنالك نزاع حصل بين مروان بن الحكم والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، الوليد كان والياً في المدينة ومروان كان مستشاراً له، مروان بن الحكم بعد وفاة يزيد تولى الخلافة لأشهر ثم مات، وبدأت خلافة أسرة بني مروان في مقابل بني أبي سفيان، مروان كان مستشار عثمان ووزيره وكانت كل أمور عثمان بيده، حينما قُتل عثمان كان مروان بن الحكم مع عائشة وطلحة والزبير، أتوا إلى البصرة فكانت حرب الجمل ثم بعد ذلك يُنقل عنه أنه هو الذي قتل طلحة ثم التحق بمعاوية، ثم بعد ذلك أتى إلى المدينة فكان والياً من طرف معاوية في فترة معينة، في هذه المرحلة كان معزولاً وكان مستشارا من بني أمية، يُقال أن مروان ألحّ على الوليد أن يأخذ البيعة من الحسين (ع) في المجلس بالليل وإلا فيقتله، الوليد لم يقبل هذا، يُنقل أن الإمام الحسين (ع) قال: (أما مَا سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سرا، وَلا أراك تجتزئ بِهَا مني سرا دون أن نظهرها عَلَى رءوس الناس علانية، قَالَ: أجل، قَالَ: فإذا خرجت إِلَى النَّاسِ فدعوتهم إِلَى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا) [9]

كانت هنالك خطتان: خطة من قِبل أبي عبد الله الحسين (ع)، وخطة من قِبل أعدائه، هاتان الخطتان يجب أن نعرفهما، سوف أتحدث عن معالم الخطتين، نحن لابد أن نبحث عن الدين في الإمام الحسين (ع) ونتقرب إلى الله به (ع) فلابد أن نعرفه ونتعرف عليه

كانت هنالك خطتان، حينما كانت الرسائل تُتبادل بين الإمام الحسين (ع) وأهل الكوفة كانت المسائل مرصودة ولم تكن المسائل منفلتة، لأن معاوية كانت له عيون كثيرة ومعاونون كثيرون فالقضايا كانت مرصودة وكانوا يخططون، ويخططون لتبرير ذلك، هذا نفعله وكيف نُعلنه، هذا نفعله وكيف نفسّره، نقتل الحسين وكيف نفسر مقتله

من جانب آخر هل كانت للإمام الحسين (ع) خطة واضحة أم أنه (ع) أبداً لم تكن له خطة وفي كل مرحلة كان يفكر ماذا يفعل؟! هذا المنطق أنه (ع) لم تكن له خطة منطق خاطئ بطبيعة الحال

---

[9] تاريخ الطبري (٣٣٩/٥)

سوف أتحدث أن الخطة الثانية ماذا كانت؟ المكر السيء الذي حاق بأهله كيف كان؟ وهل أن الإمام الحسين (ع) لم يكن يريد أن يُقدم على الانتحار أو أن الظروف هي التي تُجبره على أنه يُقدم على أن يقتل نفسه! هكذا يُتّهم الإمام الحسين (ع) وهذا الاتهام يوجّه إليه (ع) من قِبل أعدائه، بالإضافة إلى ذلك فهذا الكلام يعني أنه (ع) ما كانت له خطة، وما كان يدري أصلاً أنه سوف تحصل هذه القضية، يعني لو نفترض بأن مسلم بن عقيل قُتل، نفترض بأن عبيد الله بن زياد استولى على الكوفة، يعني هل ما كانت هنالك أيّةُ أخبار تأتي للإمام الحسين (ع)؟! معروف أنه التقى بالفرزدق في الطريق، والفرزدق الشاعر المعروف، يقول: أتيت بأمي إلى الحج فالتقيت به في التنعيم، فسألني عمّا ورائي في الكوفة، قلت (قلوب الناس معك وأسيافهم عليك)[١٠]

كان الإمام الحسين (ع) على اتصال شديد مع أهل الكوفة فلا يصح ما يقال أنه ما كان يعرف ما يحصل! هؤلاء الذين حمّلوا هذا النوع من النصوص على الإمام الحسين (ع) هؤلاء في الحقيقة لم يعرفوا أنه (ع) كانت له خطة، كان يعلم بأنه سوف يُقتل وإذا قُتل فمقتله سوف يهز هذا الوضع المترابط الذي يسير في اتجاه فاسد، هذا كان يفعله وفق خطة معيّنة

الآخرون كانوا يريدون أن يقتلوا الإمام الحسين (ع) من دون أن يكون لمقتله أيّ تأثير، كان الإمام (ع) يريد أن يكون لمقتله التأثير الرئيسي وهو تحرير الناس، جعل هؤلاء الذين لا يُبالون –وهم أكثرية– أن يبدؤوا بالاهتمام، كيف؟ سوف أتحدث عنه إن شاء الله في الليلة الآتية

أدعوكم للقراءة، قراءة تاريخ الإمام الحسين (ع) ميسورة، هنالك كتب موجودة، لكن فيها كثير من الأشياء الخاطئة التي تشوِّه صورة مسيرة الحسين (ع)، المفروض أن الإنسان يعرفها، أنا أدعوكم للقراءة وتخصيص وقت لهذا الأمر، وكذلك أدعوكم لحضور المجالس المختلفة، كلٌ يحضر المجلس الذي ينفعه بدرجة أو أخرى، تعظيماً للشعائر الحسينية الموجودة يحضرها، وفقنا الله تعالى لمراضيه، والحمد لله رب العالمين

---

[١٠] الإرشاد (٦٧/٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

حسبما أتصور أن الإنسان حينما يفكر فيما حدث للإمام الحسين (ع) تأتي في ذهنه تساؤلات، تلك التساؤلات إذا تابعها سيصل إلى نتائج جيّدة من خلال هذا السعي، أما إذا شخص لم يفكر في هذه الأمور وتعامل معها كما وصلت إليه وكما يتعامل معها الغالبية فبطبيعة الحال لا يستفيد من الإمام الحسين (ع) كَنور وضياء وبصيرة

من الأمور التي حدثت أن هؤلاء الذين اجتمعوا على قتال أبي عبد الله الحسين (ع) كانوا كثيرين، بالضبط ليس معروفاً كم، الأعداد التي تُذكر ليست دقيقة، لكن إجمالاً عُبيد الله بن زياد كان يريد أن يجسّد قدرته وأُبّهته وجبروته، وكذلك كان يريد قدر الإمكان أن يُشرك كل إنسان من أهل الكوفة في هذا القتال، كيف لم يلتحق بالحسين (ع) من هؤلاء الناس الكثيرين إلا قلّة قليلة؟ مثلاً السيد ابن طاووس يذكر أن في ليلة عاشوراء التحق بالحسين (ع) اثنان وثلاثون نفراً منهم فقط[2]، وكما نعرف كذلك التحق به الحر بن يزيد الرياحي، غير هؤلاء أنا لم أرَ أنهم ذكروا أن أحداً التحق به (ع)، هذا يثير تساؤلاً: هؤلاء كانوا من أهل الكوفة، الفاصلة الزمنية بين أمير المؤمنين (ع) وبين هذه المرحلة عشرون سنة فكثيرون من هؤلاء كانوا قد أدركوا عهد أمير المؤمنين (ع) وقاتلوا معه أو سمعوا منه الكثير لكن مع ذلك لم يتعاطفوا مع الإمام الحسين (ع) قبل أن يُقتل، هذا تساؤل

وهناك شواهد كثيرة تطرح نفس التساؤل في نفس المسار، مثلا هذا الذي أنا ذكرته عن مسلم بن عقيل، يُقال أن أهل الكوفة بايعوا مسلم بن عقيل ولم يبقَ مع والي يزيد إلّا مجموعة قليلة من الناس قبل أن يأتي عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الكوفة، يُقدّر عدد الذين بايعوا مسلم بن عقيل بأربعة وعشرين ألفاً، هؤلاء كيف ذابوا وتغيروا مرة واحدة، وحينما قُتل مسلم بن عقيل لم يدافع عنه أحد؟ بل حينما قُتل هاني

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة بتاريخ ٢ محرم ١٤١٥، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

[2] اللهوف على قتلى الطفوف (٥٧)

بن عروة وهو من مذحج وهي طائفة كبيرة فأبداً ما كان يُتوقع أنهم يتخلّون عنه ومع ذلك ذابوا وتنازلوا وتخاذلوا؟ كيف حصلت هذه الأشياء؟

أريد أن أنطلق من هاتين الظاهرتين وحوادث أخرى مشابهة لبيان أمر، وهو أن الأمة ككل في هذه المرحلة وصلت إلى مرحلة متعمقة من التدهور، أقصد بالتدهور يعني أن الأمة إمامتها أصبحت إمامة هابطة، أريد أن أوضّح هذه النقطة

كانت الإمامة الفعلية في تلك الأمة ليزيد بن معاوية حتى لو لم يُبايَع، وحتى هؤلاء الذين ما كانوا يبايعون يزيد كانوا بالحقيقة وفي الواقع قد بايعوا يزيد لا كشخص بل كمظهر واتجاه، كانوا يرغبون في أن يعيشوا عيشة يزيد وأن يكونوا في موقع يزيد، هذه الحالة وهذه الرغبة كانت موجودة في ذلك الوقت، فالإمامة في الحقيقة والواقع كانت ليزيد، كان الناس يشهدون برسالة رسول الله (ص) لكن الإمامة لم تكن لرسول الله (ص)، كانت الإمامة ليزيد وأمثال يزيد، لزياد بن أبيه، لعبيد الله بن زياد ولأمثال هؤلاء، بطبيعة الحال هذا الاتجاه والمسار كان فيه أناس كثيرون وكلهم يستهدفون اتجاها معينا، هكذا كان الوضع، وإذا أردنا أن نعبّر بالتعبير الصحيح كانت الإمامة للمترفين، كانت الإمامة لأهل الدنيا في تلك الأمة

هنالك أناس كانوا قد برزوا في تلك الأمة باسم الأشراف، هؤلاء كانوا مسيطرين عليها، مثلا شخص اسمه عمرو بن الحجاج وهو من الذين كتبوا إلى الإمام الحسين (ع) يستدعيه لأن يأتي إلى الكوفة ثم انقلب ضدّه –فقد وُكِّل إليه حفظ نهر الفرات لئلا يصل الماء إلى الإمام (ع)[٣]– كيف حصل هذا؟!

هذا الشخص يعتبر نموذجا ومثالا من أمثلة الأشراف والمترفين، شخص واحد يعكس ذلك الاتجاه، هؤلاء يعيشون الدنيا، الدنيا تتجسد في وسائل الراحة، في المال الذي يوفر وسائل الراحة، بالإضافة إلى المركز والرئاسة، الرئاسة كذلك تعطي الراحة والأمان للإنسان وهي مشتهاة على أي حال، المال والشرف – الرئاسة–، كان هذا هدفهم، والآخرون قد نُظّموا بحيث كانوا ينظرون إلى عمرو بن الحجاج وأمثاله كأئمة، عمرو بن الحجاج كان يعيش في عهد معاوية معززا محترما، كان مرموقا، كثير من الناس حتى هؤلاء الذين كانوا يعادونه –كانوا يعادونه كشخص لأنهم من قبائل أخرى– لكنهم كانوا يتمنّون طريقته ودينه

---

[٣] تاريخ الطبري (٤١٢/٥)

بعد موت معاوية كانت هنالك حركة في الكوفة وكان هنالك انفلات، الوالي الموجود في الكوفة كان ضعيفاً حسب مقاييسهم، وما كان يريد أن يتصدى وأن يُراق بسببه الدم، فاعتزل في قصر دار الإمارة وانفلت الأمر، في هذه الفترة نشط الناس واتجهوا إلى أبي عبد الله الحسين (ع)، من خصائص المترفين أنهم يستغلون حتى الدين لأجل مآربهم، فيوجهون الدين في اتجاه مصلحتهم ومركزهم فيصبغون الدين بالصبغة الترفيّة التي تعكس الدنيا وتدعو إليها، هذا كان دائما موجودا

بعد النبي إبراهيم (ع) كان هنالك حج، الحج كان حجا إبراهيميا[٤]، بعدئذٍ ماذا فعلوا؟ أبقوا على هذا لكن وجهوه توجيها دنيويا فأصبح المترفين أئمة بعد أن كان إبراهيم (ع) هو الإمام، وهكذا وموسى بن عمران (ع) وعيسى بن مريم (ع) والأنبياء (ع) حينما بُعثوا بُعثوا ليحرروا الناس ويجعلوهم عبيدا لله وحده، ولأن لا تكون هنالك فتنة ولا يَذِل أحدٌ لأحد، ولا يُذِلّ أحدٌ أحداً، لكن بعد أن ماتوا (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ)[٥]، فإذن أصبح هذا هو الدين الذي بُعث لأجله الأنبياء (ع) موسى بن عمران وعيسى بن مريم، فتشوّه وأصبح عبارة عن مذهب يساعد في بلورة الترف وإمامة المترفين، فبُنيَت مثلاً كنيسة آيا صوفيا في الروم الشرقية من قِبل المخلصين لعيسى بن مريم (ع)، عيسى (ع) الذي (كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها)[٦]، ثم أصبح الوضع هكذا، فبطبيعة الحال إمبراطور الروم الذي بنى كنيسة آيا صوفيا هذا الإنسان هو يصبح إماما، وبالتدريج يُنقل كذلك أن من الناحية الواقعية الكنيسة خضعت له واعتبرته من الناحية الشرعية إماما ووليا فعلا، هكذا كان الأمر في طول التاريخ

بعد وفاة النبي (ص) بالتدريج هكذا أصبح الأمر، فالحياة أصبحت عبارة عن هذا، هؤلاء أمثال عمرو بن الحجاج حينما رأوا هذا الاتجاه فورا بدأوا يركبون هذا المسار، ويقودون المسار في الاتجاه الذي هم يريدونه، كذلك في عهد أمير المؤمنين (ع) كانوا يحاولون أن يفعلوا هذا الشيء، لكنه (ع) كان يمنع ويتصدى لذلك، فالاتجاه الموجود الذي كان المفروض أن يكون اتجاها دينيا أراد هؤلاء أن يوجهوه اتجاها دنيويا

---

(٤) بيّن السيد (قدس سره) الحج الإبراهيمي في كتاب **الحج في الإسلام**، فصل (**المرحلة الأولى: الحج الإبراهيمي**)

(٥) (مريم: ٥٩)

(٦) نهج البلاغة (خطبة ١٦٠)

بطبيعة الحال بعدئذٍ يزيد سيطر على الموقف، واستشار أمين سر أو كاتب معاوية الخاص (سرجون) فأشار عليه أن معاوية كان يريد أن يولي عبيد الله بن زياد الكوفة –كان حينها في البصرة– وزياد بن أبيه كان متوفى قبل وفاة معاوية، ففعل يزيد ذلك وأتى عبيد الله بن زياد فسيطر على الموقف[٧]، حينما سيطر على الموقف بدأت المصلحة تستدعي أن يُنسَّق مع عبيد الله بن زياد، بطبيعة الحال –على الأكثر– أمثال عمرو بن الحجاج كانوا يحاولون أن يجمعوا بين الأمور، لكن في ذلك الحين ما كان من الممكن أن يُجمع بين هذا وذاك، لأن الموقف كان موقفا حدياً إما هذا أو هذا، فبطبيعة الحال تخلى عن الإمام، وحينما تخلى فهناك إمامة الدنيا كانت لهم على أي حال، فبدأ يتحرك هو وأمثاله –حينما أذكر عمرو بن الحجاج أذكره كنموذج– هكذا كان الوضع، الأشراف هم الذين يطرحون الدين وهم الذين يقودونه، الأشراف هم الذين يُسكّتون وهم الذين يُقيمون ويُقعدون، الأشراف هم الذين كانوا يطرحون للناس أنّ هذا حق وهذا باطل

الآية الكريمة (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[٨]، رسول الله (ص) حينما كان موجودا كإمام حصل ارتداد في عهده (ص)، فبعض الأحيان كان يحصل تخلٍّ شامل، كما في غزوة أحد –مثلا– المسلمون فرّوا، كذلك في غزوة حنين المسلمون فرّوا، كان يحصل ارتداد شامل بعض الأحيان في عهد رسول الله (ص) لكنه (ص) كان موجوداً فالمسلمون بعدئذٍ يرجعون على أي حال، وجوده كان حبلاً يجمعهم ويوجههم إلى الله تبارك وتعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ما دام الاستغفار –بمعناه الصحيح– موجودا، في الفرد أو في الأمة، في الفرد إذا حالة التوبة موجودة فيه من الممكن أن يتوب يعني قلبه لم يُختم بعد، يعني لم يَمُت، في الأمة إذا توجد حالة التصحيح حالة الرجوع إلى الصواب، فهذه الأمة بعدُ ليست بميّتة[٩]، في بعض الروايات أنّ الله لا يعذّب قرية وفيها مؤمنين[١٠]، لأن هؤلاء وجودهم في تلك الأمة بركة، يعني أن هؤلاء يشكّلون محورا للتصحيح، فيضبطون الأمة عن أن تستحق الهلاك وتتدمّر، الهلاك بمعناه الواسع الشامل فليس الهلاك هو الهلاك المادي دائما، في ذلك الحين هكذا كان الأمر

---

(٧) تاريخ الطبري (٣٤٨/٥)

(٨) (الأنفال: ٣٣)

(٩) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في الحديث الثاني من كتاب **العيد في الإسلام**، تحت عنوان (**الصالحون هم محور الأمة**)

(١٠) بحار الأنوار (٧١/٦٤) نقلا عن مشكاة الأنوار

وعلى هذا الأساس لم يكن من الممكن أنّ إنساناً يطرح الصواب بشكله الصحيح إلا أن يمر هذا الكلام وهذا الحديث عبر الأشراف فهؤلاء يستلمونه ويصبغونه بصبغتهم، ويفسرونه ويحلّلونه بعد أن يحذفوا منه كل ما يتنافى مع إمامة المترفين، أي شيء إذا يضر بالترف يحذفونه منه، ثم بعد ذلك يقولون أن هذا هو الدين ثم يعطونه للناس، فالناس يتلقونه كدين فيصبح الوضع بحيث أن رسول الله (ص) بشّر بدين كهذا! وأن أمير المؤمنين (ع) هكذا كان يفعل! حتى أمير المؤمنين (ع) الذي كان يلبس لباسا مرقّعا –ولم يكن من الممكن أن تُنكَر طريقته– كان ذلك يحرّف فيُقال أنه حينما كان يفعل ذلك كان يفعله لنفسه أمّا غيره كان يدعوهم للترف! ألم تقرأ تلك الرواية[11] أن عاصم بن زياد حينما ترك الدنيا عاتبه ودعاه إلى أن يتمتّع بالحياة كالمترفين! هكذا كان الوضع يحرّف، يُبنى المسجد وفق مقاييس المترفين، يُكتب القرآن وفق مقاييس المترفين، القرآن كُتب بالذهب وذُهّب في عهد الإمام الباقر(ع) وفق مقاييس المترفين، الحياة تصبح وفق مقاييس المترفين، الناس يتّبعون هذه الحياة ويتّخذون منهم أئمة من دون أن يشعروا

قلت بأن هناك إمامة لفظية يتلفّظ بها الإنسان بلسانه، من هو إمامي؟ عليٌّ (ع) إمامي، الحسن (ع) إمامي، الحسين (ع) إمامي، فقط بالكلام وباللفظ، أمّا في الواقع الإمامة والولاية –التي لا يخلو إنسان عنها في داخل نفسه– تلك الإمامة في الواقع للمترفين، يا ليتني كنت مثل فلان يا ليت حياتي مثل حياته، فالحياة المترفة التي هو يعيشها جيّدة، وأنا أحاول أن أبني وأزخرف وأصنع بيتي بطريقة تلفت نظر الناس وينبهرون به، والناس يدفعونك ويشجعونك لهذا، يقولون بأنه نِعم الشيء هذا، في نفس الاتجاه، هكذا كان الوضع

ما كان من الممكن أن أي كلام يصل إلى الناس إلا عبر هؤلاء، ذكرت أن عمرو بن الحجاج حينما يأتي فيستولي على الأمر ويصبح هو الوسيط بين الإمام وبين الناس فحتى الإمام الحسين (ع) كإمام هو يصيغه للناس يصيغ أقواله ويصيغ تصرفاته (ع)، يفسّرها تفسيراً يتماشى مع إمامته هو، يُنقل أنه حينما أمر يزيد عمرو بن سعيد –كان والياً في المدينة– بأن يغزو مكّة –عبد الله بن الزبير كان قد ثار في مكّة– فشخص قال له أن غزو مكّة لا يجوز لأن رسول الله (ص) قال إنه لم يحلّ لي إلا في ساعة من نهار، فلها حرمة أبدية، قال: مكة حرمنا ونحن أعرف بحرمتها منك[12]. هكذا كان الوضع، هذا بالنسبة للمسألة الشرعية، عمرو بن

---

[11] في نهج البلاغة (٤٤٨/١)

[12] البخاري (١٤/٣) باب لا يعضد شجر الحرم

سعيد الأشدق كان يستفتي الآخرين في مسائل شرعية وليس لديه مانع، أما إذا أصبحت القضايا تصطدم بإمامتهم فهم أعرَف والناس يجب أن يخضعوا ويتقبّلوا ولا أحد كان يستطيع أن يتكلّم

عثمان غيّر مسجد رسول الله (ص) وبناه من جديد وجعل أعمدته من الحجر ووسعها وزخرفها[١٣]، يُقال أن كثير من الناس احتجوا عليه (...فكره الناس ذلك، فأحبوا أن يدعه على هيئته)[١٤]، أنا لا أدري ما هو مبرّر احتجاجهم ولم أجد ذلك منقولا في التاريخ، هل احتجّوا لأنه كان تراثا وذكرى لرسول الله (ص)، فلماذا يتغيّر! جيّد أن الإنسان يرى مسجد رسول الله ويتذكّره! يحتجّون كقضايا عاطفية فقط، أم أنهم كدين كانوا يحتجّون على هذا التغيّر؟ لا أريد أن أتكلم عن هذا، بعدئذٍ وليد بن عبد الملك بناه بطريقة جديدة جداً وفق مقاييس الكنائس[١٥]، واستخدم أناساً من الروم[١٦]، هذا شيء طبيعي فلم يفعل وليد بن عبد الملك شيئا استثنائيا وإنما كان هذا هو الدرب وهذا هو الطريق آنذاك

هنالك في بعض كتب الشيعة يوجد هذا النوع من التحليل بأن هذا ضروري أن يحصل، لِمَ ضروري أن يحصل؟ فقيل لأن في عهد رسول الله (ص) كانت الحياة بسيطة والبيوت بسيطة، وعلى هذا الأساس رسول الله (ص) لم يسقّف مسجده، أما بعد أن بُنيت القصور والحياة تطوّرت المسجد لو يبقى كما كان في عهد رسول الله (ص) فهذا يعتبر إهانة للمسجد! هكذا استدلّوا، وإهانة المسجد لا تجوز فإذن يجب أن يُبنى المسجد بشكل أفضل من القصور حتى لا يتعرّض للمهانة، وبنفس الطريقة كذلك القبور وأمثال ذلك، هل هذا صحيح؟

مثلا حينما يُسأل لِمَ لَم يبنِ رسول الله (ص) على قبر حمزة شيئا؟ ولَم لم يبنِ الإمام الحسين (ع) –ضِمنَ عشر سنوات– على قبر الإمام الحسن (ع) شيئا، وكذلك الإمام الصادق (ع) لم يبنِ شيئا على قبر الإمام الباقر (ع) والإمام زين العابدين (ع) والإمام الحسن (ع)، فربّما يُقال لأنه في ذلك الحين كانت البيوت بيوتا بسيطة فعدم البناء لا يضر، أما الآن حيث توجد هنالك قصور وناطحات سحاب ففي هذه الحال إذا نحن لا

---

(١٣) إشارة السيد (قدس الله نفسه الزكية) إلى زخرفة المساجد في كتاب **الحج في الإسلام**، تحت عنوان (**زخرفة المساجد**)

(١٤) كتاب مسلم (٣٧٨/١)

(١٥) وفا الوفا (٩٦/٢)

(١٦) معجم البلدان (٨٧/٥)

نبني المساجد بتلك الصورة فإذن هذا يُعتبر مهانة لها! فالمقاييس أصبحت مقاييس الترف، من دون أن يدري الإنسان أصبح يخضع لهؤلاء وينسّق معهم من دون أن ينتبه

سوف أتحدث في الليلة الآتية أن منطق الإمام الحسين (ع) ما كان من الممكن أن يُفهم، فلو كان يبيّن للناس الحق والباطل ما كانوا يفهمونه، لأن كل ما كان يتكلم به لا يُفهم، ذهنية الناس كانت متلوّثة، أنت إذا صببت ماءً زلالا صافيا نقيا في إناء متلوث –بدهن مثلا– فهذا الماء يتلوّث، الأذهان كانت متلوثة، حينما مثلا كان يُقال بأنه أيها الناس حجّوا فهذا يعني حجّوا كما يحجّ المترفون، صلّوا يعني صلّوا كما يصلّون، أيها الناس ابنوا المسجد ففي بناء المسجد ثواب، يعني ماذا؟ ماذا يخطر في ذهنك؟ كيف يُبنى المسجد؟ ذلك المسجد الذي يُنقل عن أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) (سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: من بنى مسجدا بني اللّه له بيتا في الجنة. قال أبو عبيدة: فمر بي أبو عبد اللّه عليه السلام في طريق مكة وقد سويت بأحجار مسجدا، فقلت له: جعلت فداك نرجو أن يكون هذا من ذلك؟ فقال: نعم)[17]، هذا المسجد الذي يخطر في ذهن ذلك الإنسان في عهد رسول الله (ص) أما في أذهاننا كيف يكون؟ هل هذا يعتبر مسجدا؟ هذا لا يُعتبر مسجدا وفق مقاييس المترفين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له معنى معيّن، المنكر أصبح وفق مقاييس المترفين والمعروف كذلك وفق مقاييس المترفين، (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[18]، هذه هي إمامة المترفين

ثم حتى إذا الذهنيات ذهنيات صافية، لكن دائماً عن طريق الوسطاء يُزيِّن لهم هؤلاء الذين كانوا يملكون، عمرو بن الحجاج كنموذج هو لم يكن وحده بطبيعة الحال، كان هنالك معه محدثون ورواة وأشخاص كانوا فقهاء، حجّاج بن يوسف الثقفي كان معه أناس من كبار الشخصيات الفقهية يجالسونه، فهل كان الحجاج في نظرك ينسّق معهم أم كانوا هم ينسّقون مع الحجاج؟ كان يجعل الدين في خدمته ويصيغ الدين صياغة معينة والآخرون كذلك يستمعون منه

---

[17] الكافي (٣/٣٦٨)

[18] الكافي (٥/٥٩)

قلت بأن عبد الله بن عمر –حسب الظاهر– كان إنسانا ورعا، نحن لا نعرف القلوب، فالقلوب والنيّات عند الله تبارك وتعالى ﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[19] حسب الظاهر كان ورعا وكان مبتعدا عن الدنيا، طُرحت عليه الرئاسة ولم يقبلها، وكان مثقفا ثقافة فقهية هائلة، وكان يُستفتى كثيرا، والروايات المروية عنه كثيرة في كتب القوم وكانوا يحترمونه ويبجّلونه، فماذا كان يفعل؟ الدين الذي كان يطرحه دين ينسجم مع الحياة المترفة وإمامة المترفين، لا يمكن أن توجد حياة مترفة من دون إمامة للمترفين لأن الشهوات –بشكل طبيعي– تطرح هذا الشيء، أنا في السابق ما كنت أنتبه إلى هذه الأشياء فكنت أقرأ حياة عبد الله بن عمر وكنت واقعا أستغرب لأني كنت أتعامل معه بتعصّب، وبعض الكتب التي تذكر أنه كان ورعا بهذا الشكل كنت أتأذى منها وأهملها لا أقرأها، ثم بعد ذلك بالتدريج عرفت أنّ هذا الدين الذي يطرحه لا يضر أبدا بالحياة المترفة

يجب أن تنتبه، لأن نعيش حياة الحسين (ع) كذكرى حقيقية، يعني نذكرها، لا نذكرها بهذا النوع من التذكّر الذي يقال ككلام، ذكرى بأن نذكره كإمام، يجب أن نعرف بأن النفوس متشابهة، هؤلاء الذين كانوا في ذلك الحين لا يختلفون عنا ونحن لا نختلف عن هؤلاء، نحن مثل بعض

إذن الإمام الحسين (ع) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشير إليه، هذا منكر وهذا معروف، أولاً بمجرّد أن يقول هذا معروف أو هذا منكر، الذهنيات تتلقى المعروف وفق مقاييسها، الآن جرّب هذا حينما يقال لك أن الله أمر بالمعروف أي معروف يخطر في ذهنك؟ حينما يقال لك إن الله يأمر بالعدل أي عدل يخطر في ذهنك؟ العدل الذي أخذته من الكتب؟ العدل الذي الناس أوحوه إليك؟ أليس كذلك؟ فإذن ذهنك له حالة سابقة، مواقف مسبقة، كل شيء مفصّل فتتلوّث الأشياء، يصبح إسلاما لكن إسلاما خاويا (كالمرعى الوبيل)، يوجد إسلام لكن لا ينتج أي شيء، لا ينتج موقفا وعزا لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة –لا تفكّر بأن الآخرة تكون بمعزل عن هذه الدنيا، إذا الإنسان في هذه الدنيا الدين لا يعطيه عزا، الله لا يكفيه ولا يكون حسبه، هذا في الآخرة كذلك لا يكون الله حسبه–، هكذا نحن يجب أن نفكّر في أنفسنا، لا نفكّر في عمرو بن الحجاج، عمرو بن الحجاج فقط كنموذج ومثال ذكرته، هذا النمط من الناس دائما موجود

---

[19] (القيامة: ١٤)

أتعجّب، يُنقل أن الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء يتكلّم ويتحدّث، على الرغم من أن هذه الكلمات كذلك تشوّهت في التاريخ وفق الذهنيات المشوهة، على الرغم من هذا، هذه الكلمات حينما يُنقل عن الحسين (ع) يتكلّم، شمر يقول (هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول)[٢٠]، هذا الكلام هو يقوله والآخرون كذلك يصدقونه، أي شيء يُطرح من الدين الناس ينظرون أنّ هؤلاء الأشراف ما هو رأيهم فيه! مثلا عبد الله بن عمر ماذا يقول وكيف يفكر! شريح القاضي كيف يفكر! هؤلاء كيف يفكرون! فالأشراف كانوا متعاونين، هذا في خدمة ذاك وذاك في خدمة هذا، هكذا كان

يجب أن نعيش غربة الحسين (ع)، أنا حسب فهمي لو استطعنا أن نعرف إمامة الحسين (ع) معرفة صحيحة، هنالك ذكراه (ع) لا فقط تُبكي بل تعطي للإنسان منعةً وعزاً، أنا حينما أواجه مشاكل أتأذى كثيرا، إن شاء الله لا أحيد عن طريقِه لكن أتأذى كثيرا، حينما أتذكّر الحسين (ع) أشعر بقوة، أبكي لكن أشعر بقوة، فإذا عرفت الحسين لا تنتظر أن ينعاه شخص لك، بل دائماً تتذكره، ينقل عن شخص حينما سأله الإمام هل تذكر الحسين (ع)؟ قال (إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي قال رحم الله دمعتك)[٢١]، هذا هو الواقع وهذا هو تذكّر الحسين (ع) بشكل طبيعي، يجد الإنسان فيه وجوده بشرط أن يعرفه (من أتى قبر الحسين (ع) عارفا بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر)[٢٢] الزيارة ليست بتلك الصورة أن يذهب الإنسان إلى هناك بذهنيّته الفاسدة، بترفه يذهب، بإمامة الدنيا يذهب، لا بل هو بقلبه يزور الحسين (ع) فيلتقي بالحسين (ع)، (من أتاه عارفا بحقه غير جاحد لم يكن له عوض غير الجنة)[٢٣] يلتقي بالحسين (ع)، هو (ع) وجه الله وطريق الله، يلتقي بصراط الله تعالى، الإنسان إذا التقى بالحسين (ع) يدخل الجنة، النفس إذا صفت وتطوّرت ووصلت إلى هذه المرحلة عكست الحسين (ع) كإمام ووجدته (ع) في داخلها كإمام، هذه النفس نفس طيّبة، هذه النفس نفس طاهرة، هذه النفس تحشر في الجنة، هكذا يُتفاعل مع الحسين (ع)، تذكّر الحسين (ع) حينما تكون وحدك، اشتركوا في المجالس هذا جيّد لكن لا تكتفي بذلك، حينما تكون وحدك تذكّره (ع) فتجده حاضرا، والحمد لله رب العالمين

---

[٢٠] الإرشاد (٢/٩٨)

[٢١] بحار الأنوار (٤٤/٢٨٩) نقلا عن كامل الزيارات

[٢٢] الكافي (٤/٥٨٢)

[٢٣] بحار الأنوار (٢/٩٨) نقلا عن كامل الزيارات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين[1]

السلام على الإمام الحسين الشهيد الغريب وعلى أهل بيته وأصحابه، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً، فيا ليتني كنت مع حبيب، فيا ليتني كنت مع زهير، فيا ليتني كنت مع مسلم بن عوسجة، فيا ليتني كنت معهم، فيا ليتني كنت أملك مشاعرهم وأحاسيسهم وقوّتهم وإيمانهم

تحدّثت في الليلة الماضية عن الوضع في عهد الإمام الحسين (ع)، والروايات التي تُنقل عنه أكثرها ليست مُسندة، وإذا كان بعضها مسنداً فأسناد هذا البعض على الأكثر غير جيّد، إذن لا يستطيع المرء أن يبني على رواية، وأساساً القضايا العقائدية لا يمكن بناؤها على أساس من رواية واحدة، وقد تحدّثت في أوقات سابقة أن القضايا العقائدية تختلف عن القضايا العملية (الفقهية)[2]**، ففي القضايا العملية الفقهية المجتهد يكتفي بالرواية المعتبرة فيستنبط منها حكماً –بشروط بطبيعة الحال– فيكون هذا الاستنباط حجّة، أما القضايا العقائدية فهي بحاجة إلى قناعة وبحاجة إلى اطمئنان، فرواية واحدة لا تُنتج معرفة، يجب أن تجتمع مجموعة من الشواهد والقرائن حتى الإنسان يستطيع أن يبني تصورا ويؤسسه**[3] **وهذا أهم شي في فهم مسيرة الإمام الحسين (ع) وسيرة أي إمام، وأساساً الروايات والأحاديث الواردة أهم مرجع لفهمها هو محكمات القرآن الكريم**[4]**، وكذلك محكمات سيرة رسول الله ومحكمات سيرة أمير المؤمنين (ع)، هذا قلته حتى أحذّركم من التعامل الخاطئ مع الروايات، فمن الممكن مثلاً أنا أقرأ أو أسمع أو أنت تقرأ أو تسمع مني أو**

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٣ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**النصوص**)

(٣) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **الاعتقاد الصالح**

(٤) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن** (**قرآن**)، فصل (**القول ثلاثة**)

من غيري: قال الإمام الحسين (ع)، فأنسب عملا أو قولا إلى الإمام (ع) فأنت تتصوّر أنّ هذا القول ثابت وأنّ الإمام (ع) هكذا عمل، ويكون هذا غير صحيح، لذلك أردت أن أنبهك

أذكّركم بشيء كثيرا ما الإنسان يغفل عنه وهو ضروري للمعرفة، وهو أن عهد الإمام الحسين (ع) لم يكن عهدا خارج الزمن، وكذلك لم يكن ذلك المكان خارج هذه الأرض، النفوس التي كانت لهم هي نفس النفوس التي لنا، ونفوسنا تشابه نفوسهم، الناس في كثير من نزعاتهم وطريقتهم وسلوكيّاتهم يخضعون لنفس المقاييس ولنفس القوانين التي يخضع لها الآخرون، هذا يجب أن ننتبه له

الآن أذكر هذه الرواية المعروفة عن الإمام الحسين (ع) أنه قال: (الناس عبيد الدنيا والدين لعِقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم –يتحدثون عن الدين إذا معايشهم تسير وتمشي– فإذا محِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون)[٥]، هذه الرواية قد لا تكون صحيحة لكن هي تعكس الأوضاع في ذلك الحين، كان هنالك أناس كثيرون مخلصون هذا لا يُشك فيه، الآن أنت حينما تذهب إلى الحج ففي المطاف حينما تراقب وتلاحظ أن كثيرا من هؤلاء الذين يحجّون واضح أنهم لا يملكون أيّ شيء في هذه الدنيا، أتى إلى الحج يبكي ويطوف بخشوع، يأتون من أماكن بعيدة من أفريقيا أو من أماكن أخرى لديهم هذه الحالة من الخشوع وهذا النوع من الإخلاص، هذا يعني أنه كان يوجد إخلاص ولم يكن الناس كلّهم عبيد الدنيا ولم يكن الدين لغوا على ألسنتهم –يعني مرة يتركونه ومرة يأخذونه– وإنما المشكلة الرئيسية كانت أن هؤلاء المخلصين لم يكونوا في الواجهة، كانوا يتأثرون بالذين كان الدين لغوا على ألسنتهم فصار الإسلام يُصاغ من قِبل هؤلاء المترفين صياغة متناسبة مع الدنيا ومع معايشهم

لاحظوا مثلا في بعض الأماكن توجد أشياء بعنوان الفن الإسلامي وبعض الصور عن الفن الإسلامي! مثلا البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) صُنعت على شكل طير، أو كتبوا مثلا صفحة من القرآن الكريم بالذهب أو بخط لا يُقرأ صنعوا منه فناً، هذه اللوحة وهذا العمل هو عمل من؟ هذا عمل ذلك الإنسان الذي يتعامل مع الدين في طريق الشهوات، لأنّ هذا يريّح وهذا مشتهى، هذا الإنسان الذي يشتهي أن

---

[٥] تحف العقول (ص٢٤٥)

يكون له سرير مريح، طعام متنوع، حياة مطمئنة في هذه الدنيا، كذلك يريد –بشكل تلقائي– أن يكون الدين في خدمة هذه الأشياء، لوحة من الذهب تريّحه

هنالك أناس آخرون قد لا يتعاملون مع الدين من هذا المنطلق وقد يتقرّبون إلى الله بهذه الأشياء، أنت إذا ذهبت إلى مسجد الرسول (ص) تجد هنالك خطوطاً حسب المقاييس الفنية رائعة، كثير من الخطاطين المعروفين خصوصاً من العثمانيين –الأتراك– وكثير منهم لم يذكروا أسماءهم حتى لا يكون رياءً، يعني كانوا يتقرّبون إلى الله بهذا العمل، البسملة التي يجب حينما تُقرأ تذكِّر الإنسان بالله تعالى وتكون عنوان حياته، فباسم الله يقوم وباسم الله يقعد وباسم الله يأكل وباسم الله يذبح وباسم الله يتزوّج وباسم الله يفعل الأشياء، ولكن هذا الإنسان المخلص يحوّل البسملة ويجعل منها طيرا، يتعب كثيراً وقد لا يأخذ مالا وقد لا يريد دنيا لأجل هذا العمل، لكن هو في الحقيقة يخدم ذلك الاتجاه، اتجاه (الناس عبيد الدنيا)، هو في الحقيقة من دون أن يدري يساهم في بلورة الترف ويجعل الدين في خدمة هذا الترف، كثيرون في عهد الإمام الحسين (ع) كانوا هكذا

على أي حال كان هناك وضع هَرمي، في القمة هؤلاء المترفون أو ذوو الاتجاهات الترفيّة، كانوا يريدون الدنيا وشهوات الدنيا –الشهوة في الدنيا موجودة فحتى الأنبياء كانوا يشتهون في الدنيا، شهوة الدنيا ليست ضارة إن كانت كشهوة فقط بل ضارة إذا كانت كطريق–، المترفون لا يشتهون في الدنيا فقط وإنما يريدون الدنيا كدين، ويجعلون الأشياء الأخرى في خدمة دين الشهوات، هكذا كانوا، والناس الآخرون كذلك كانوا ينسّقون معهم، كأنّ المجتمع كله أصبح (عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم) هنالك أناس يتقصّدون أن يكونوا في القمة والآخرون –بعضهم ضعفا– ينسّقون مع هؤلاء، أنا أذكر في وقت من الأوقات شخص كان يريد أن يتحدّث حول الآية الكريمة التي تتحدّث عن الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[٦] فقيل له: لا تتحدّث عن هذا الأمر لأن هنالك شخص قائم على هذا المجلس ولولا هذا الشخص هذا المجلس لا يتم –وكان هذا الشخص معروف بأنه يشرب الخمر– فإذا أنت ركّزت عليه هذا الشخص قد يتأذى ويذهب، هذا الذي كان يقول هذا الكلام

---

[٦] (المائدة: ٩٠)

كان إنسانا مخلصا وكان يتصوّر بأن هذا خدمة للدين، أنت تريد أنّ هذا المجلس الحسيني ينهار! فإذن لابد أن نسكت وننسّق مع هذا، فبالتدريج تحصل التنازلات

مسألة أن الإنسان يتصور أنه لا يستطيع فيتنازل هذه مسألة خطرة جدا، فالتنازلات حينما تحصل أولاً الإنسان عمليا يتنازل، كثير من المنكر موجود وكثير من الأخطاء والانحرافات موجودة، الناس يعرفونها لكن لا يستطيعون قولها، بطبيعة الحال حسب المقاييس الشرعية كذلك يسقط التكليف في كثير من الأحيان فيتنازلون عملياً، والتنازل العملي لا يبقى فقط تنازلا عمليا لأنه يوجد هنالك صراع بين المبادئ الموجودة في القلب وبين السلوك العملي، فبالتدريج يصل الأمر إلى نقطة أنه هو بنفسه يرى أن الدين هو كذلك، هذه هي النفس الإنسانية وهكذا تكون، بناءً على هذه الصورة فالإمامة تصبح لهؤلاء وكذلك إمامة الأشخاص المخلصين الذين واقعا يريدون أن يخدموا الله تبارك وتعالى، بالتدريج هكذا يصبح الأمر وكل الناس ينسّقون مع هذا، هل من الممكن أن يكون هنالك مجتمع من دون انحراف؟ فإذن بالتدريج يُغض النظر عن الانحراف وبالتدريج يصبح هذا هو الدين ويصبح هذا المجتمع هو المجتمع الصالح!

في عهد رسول الله (ص) أئمة الكفر كانوا يُقاتَلون (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ)[٧]، لِمَ كانوا يُقاتَلون؟ لأنهم هم أئمة فعليون في الواقع، دائما أئمة الكفر هم يكونون أئمة في النفوس إلا أن تكون الإمامة الواقعية لرسول الله (ص)، لا يوجد هنالك إمامة وسط، إما إمامة للأنبياء ولرسول الله (ص) وللأئمة (ع) أو إمامة للضلال، لا يوجد هنالك إنسان يعيش من دون إمامة ومن دون ولاية واتجاه ومسار ورغبات في داخل نفسه[٨]، إما هذا أو ذاك، أئمة الضلال هكذا كانوا، كانوا يريدون من رسول الله (ص) بإصرار أن ينسق معهم، تعلمون أن في بداية الأمر كانوا يريدون منه أن يكون دينه بحيث يتناسب مع الأوضاع التي هم كانوا يريدونها، يتناسب مع شهواتهم، أن يكون في خدمة الترف، في خدمة أبي جهل، أبو جهل كان مستعدا أن يتعامل مع رسول الله (ص) بشرط أن يعترف بالوضع الموجود وينسق معه

---

(٧) (التوبة: ١٢)

(٨) بيّن السيد (قدس الله نفسه الزكية) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٢ – نبوة النبي (ص)**، فصل (**ولاية شاملة**)

الأصنام –بذاتها كأصنام– لم يكن لها قيمة في نظرهم، بشرط أن تبقى الأوضاع كما هي –باستثناء بعض التغيّرات التي لا تؤثر على إمامتهم– فهؤلاء ما كانوا يتخلّون عن إمامتهم فالناس كذلك لا يتحررون، ولا يفهمون أنهم غير متحررين، متى يفهمون؟ إذا تحرّروا، متى يتحرّرون؟ إذا تلك الإمامة انكسرت في نفوسهم

بلال –كمثال– ما كان يستطيع أن يتحرّر، ثم تحرّر، أناس آخرون ما كانوا يستطيعون أن يتحرّروا، كانت نيّاتهم صالحة لكن ما دام أبو جهل موجودا بالواجهة فالإمامة لأبي جهل ولغيره من الأشراف، كانت الإمامة الحقيقية لأبي جهل، هو المبتغى وهو الهدف للناس، هو المسار وهو الطريق وهو الدين، لا يمكن أن يتحرّر الناس إلا أن هؤلاء يُزاحون، (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) هكذا كان والقتال في سبيل المستضعفين شُرّع على هذا الأساس، دائماً هكذا، لأن هؤلاء لا يتحرّرون إلا أن تزول هذه العقبات عن طريقهم، من يستطيع أن يُفهِّم هذا الإنسان الذي يأتي فيزخرف المسجد أن هذه الزخرفة تضر، أن هذا حاصل بإيحاء من المترفين، أن هذا الدين حرِّف فحصل هكذا، هو يتقرّب إلى الله بزخرفة مسجد الرسول (ص) أو غيره من المساجد، من يستطيع أن يُفهِّمه؟ هذا لا يُفهم أبدا لأنه لا يستطيع أن يفهم إلا من خلال قنوات معيّنة هو متعوّد على التعامل مع الدين عن طريقها، هذه القضية ليست خاصة بزمن رسول الله (ص) وبأزمنة الأنبياء (ع) وبزمن الإمام الحسين (ع) فقط بل هذه قضية دائما موجودة، فالإنسان بالتدريج يهبط فتصبح الإمامة في المجتمع ككل للمترفين، حتى الدين يصبح في خدمة الترف وفي خدمة المترفين، لا فقط يُطلب من الإنسان أن ينسّق عمليا ويخدم المترف بل بالتدريج يجب أن يرضى بالترف ويتبناه

الإنسان الجائع بدل أن يفكّر في الله وفي الآخرة، بدل أن يفكّر في إنسانيته في طريقه بدل ذلك يفكّر في ذلك الإنسان المترف الذي عنده أموال وله جاه، ذلك المترف داخل في أعماق قلبه فكيف يستطيع أن يفهم ويفكر؟ هكذا كان الوضع في عهد الإمام الحسين (ع)، ماذا يفعل؟ قلت البارحة أن أي شيء حينما يقوله ينصبغ بتلوّثات الأذهان الموجودة، ثمّ يصبح منطق الإمام الحسين (ع) منطقا مشوّها

أنتم تعلمون بأن الإمام الحسين (ع) حينما تحرّك لم يشجعه أحد على هذا العمل، بل ما يذكر في التاريخ أن كلٌّ من قابله منعه باستثناء شخص واحد هو عبد الله بن الزبير الذي قال: (أما لو كَانَ لي بِهَا

مثل شيعتك مَا عدلت بِهَا، قَالَ: ثُمَّ إنه خشي أن يتهمه فَقَالَ: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثُمَّ أردت هذا الأمر هاهنا مَا خولف عَلَيْك إِنْ شَاءَ اللّه، ثُمَّ قام فخرج من عنده، فَقَالَ الْحُسَيْن: ها إن هَذَا ليس شَيْء يُؤتاه من الدُّنْيَا أحب إِلَيْهِ من أن أخرج من الحجاز إِلَى العراق، وَقَدْ علم أنه ليس لَهُ من الأمر معي شَيْء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فود أني خرجت منها لتخلو لَه)[9]، فكان أبغض الأشياء عنده أن يبقى الإمام الحسين (ع) في مكة لأنه كان يريد مكة لنفسه، هذا يعني أن منطق الإمام الحسين (أريد أن آمر بالمعروف) لا أحد كان يفهمه، أيّ معروف؟ لا بأس المعروف موجود، هنالك بعض القضايا قالها له عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمر يجب أن تنظر له كرمز وكنموذج! يوجد كثيرون أمثاله، حسب المقاييس الظاهرية كان إنسانا ورعا مثقّفا ثقافة دينية وكذلك لا يرتكب المحرّم ومتقيّدا جداً يُعتبر علاّمة لا غبار عليه أبدا، هذا الإنسان يحذِّر الإمام الحسين (ع) وعبد الله بن الزبير: (اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين)[10]، هذا الوضع المستقر الموجود هذا الوضع الهرمي هل هو كان يفهمه؟ النيات أنا لا أعرفها، منطق (لا تشق عصا هذه الأمة) هو نفس منطق عبيد الله بن زياد حينما قال لمسلم بن عقيل: (ايه يابن عقيل! أتيت الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، لتشتتهم، وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم عَلَى بعض)[11]، نفس المنطق، هذا الوضع المستقر الهرمي الموجود حيث المترفين في القمة والدين يأتي الناس عن طريقهم منصبغاً بصبغة أهوائهم، هكذا كان الوضع

ماذا يفعل الإمام الحسين (ع)؟ هل شعرت بهذا؟ أن الإمام الحسين (ع) غريب؟ أم يُقال لك أنه غريب ويُهيأ لك جوٌّ فتبكي، هل فكّرت في وقت من الأوقات في غربة الإمام الحسين (ع)؟ ولم يكن قد مضى على وفاة رسول الله (ص) غير خمسين سنة، فكان هنالك أناس عاشوا عهد رسول الله (ص) ومازالوا أحياء، هنالك أناس كثيرون من الذين عايشوا أمير المؤمنين (ع) ما زالوا أحياء، لكن مع ذلك منطق الإمام الحسين (ع) أصبح منطقا غريبا لهم فلا يُعرف ولا يُفهم، ماذا يفعل الإمام الحسين (ع)؟ هل يسكت؟

---

[9] تاريخ الطبري (٣٨٣/٥)

[10] البداية والنهاية (١٥٨/٨)

[11] تاريخ الطبري (٣٧٧/٥)

بالتدريج يصبح الدين عبارة عن هذا، مساجدهم عامرة لكنها خالية من الإيمان، المسجد وحده لا يعطي أي شيء، القرآن وحده لا يعطي أي شيء، يصبح دينا لا ينتج عزاً ولا ينتج شعوراً بأي شيء!

انظر إلى العبارات الدينية المزخرفة والمزيّنة، تربطك بمن؟ هل تربطك بالله؟ هل تربطك برسول الله (ص)؟ أم تربطك بالفنانين؟ الفنانون في خدمة من؟ الفنانون في خدمة إمامة المترفين، من يفهم هذا؟ وهكذا.. وهكذا.. الناس عادة يجادلون، أناس يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، يوجد هنالك أناس مخلصون والإنسان لا يشك في إخلاصهم وليس لهم أيّة مصلحة في دنيا المترفين لكن مع ذلك جهلا وغفلة هؤلاء يجاهدون في الدفاع عن هذه الأمور، مثل عبد الله بن عمر كان يقول إنك حينما أنت تتكلم عن المعروف بمنطق آخر أخاف أن هذا الهرم يتفتّت، يقول بأنه هذا الوضع الموجود وهذا إسلام على أي حال، فإذا تقول أن هذا الإسلام ليس إسلاما كاملا يقول لا بأس يوجد قليل، لا يتفتّت ولا تشق عصا هذه الأمة لا تقُل هذه الأشياء واعترف بهذا الوضع، جيّد تحرّك لكن ضمن هذا الإطار، هكذا كانوا يقولون

صوت الإمام الحسين (ع) هو الصوت الوحيد الذي كان موجودا والذي كان يُخاف منه على إمامة المترفين، يُخاف منه على ذلك الهرم، يُخاف منه على الوضع المستقر، يُنقل عن معاوية في وصيته إلى يزيد أنه قال: لا أخاف إلا من ثلاثة أشخاص، الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر الذي ما كان يشكّل خطراً فهو في نفس الاتجاه، الإمام الحسين (ع) أخطرهم[١٢]هذا الصوت يجب أن يُغتال ويُخمد، يُنقل أن يزيد (كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة: إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما)[١٣]

كانوا يعرفون هذا الشيء، أن هذا الصوت يجب أن يُخمد، كانوا ضاربين النطاق حول هذا الصوت، صوت عليّ (ع)، أمير المؤمنين (ع) ما كان يستطيع أن يفعل شيئا، ما كانوا يسمعون له، ملأوا قلبه قيحا، كان في أواخر حياته يتمنى الموت، لا موتا عاديا وإنما الشهادة التي كانت هي هدف أمير المؤمنين (ع) منذ

---

(١٢) تاريخ الطبري (٣٢٣/٥)

(١٣) تاريخ اليعقوبي (٢٤١/٢)

وقت مبكّر، وكذلك الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ضربوا حولهما نطاقا ففرضوا عليهما إمامة المترفين، تلك الرواية المعتبرة: (عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أناسا بالمدينة قالوا ليس للحسن (ع) مال فبعث الحسن (ع) إلى رجل بالمدينة فاستقرض منه ألف درهم وأرسل بها إلى المصدق وقال هذه صدقة مالنا فقالوا ما بعث الحسن (ع) بهذه من تلقاء نفسه إلا وله مال)[١٤]، الإمام يضطر لأن يقترض ألف درهم فيبعثه إلى مصدِّق حتى الناس يقولون بأنه هو ليس فقيرا، وكان يمشي إلى الحج ماشياً، وتقاد معه محامله حتى الناس لا يعيبونه، ذلك المجتمع ضُرب عليه نطاق، لا فقط ما اعتُرف بإمامته وإنما فُرضت عليه إمامة المترفين، هكذا كان الوضع، هذا الصوت كان مخنوقا في ذلك المجتمع، وبصراحة عبد الله بن عمر كان يجد هذا الرصيد (اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين) يعني لا تتكلم شيئاً فهذا الذي أنت تفعله منكر، وهذا الإسلام جيّد!

الإمام الحسين (ع) يجب أن يُقتل، خططوا لهذا المقتل، والله تعالى أراد للحسين (ع) الانتصار فانتصر، لكن بتلك المواقف العظيمة التي تجعل الإنسان يطأطئ رأسه تجاهها

لا أريد أن أتحدث عن قضايا تاريخية بل أريد أن أتحدث عن الإمام الحسين (ع) كمقياس ونموذج حي، كدعوة واتجاه دائما موجود، وكذلك الاتجاه الثاني موجود بكل جبروته، الإنسان لا يفكر في التاريخ إنما يأتي بالتاريخ إلى نفسه، أو يذهب إليه بنفسه وبكل وضعه لا فقط بذهنه بل بنفسه وبوجوده وكل تفاعلاته الوجودية، يذهب إلى التاريخ ويعيش كيف كان التاريخ

هذا دائما ميسور بشرط أن الإنسان يعرف، الله تبارك وتعالى لم يأتِ بمعجزة وشيء خارق وإنما عن طريق مكر الظالمين، لأن الإمام الحسين (ع) كان صالحا فالله تعالى به دمّر ذلك المكر وفتّت ذلك الهرم فتحرر الناس، بعد مقتل الإمام الحسين (ع) مباشرة تحرّروا، هذا ليس صدفة فكل إنسان أصبح يتحرّك من منطلقه الشخصي فقط، أصبح يبحث عن الدين بنفسه، سوف أتحدث عن هذا إن شاءالله، أكتفي بهذا والحمد لله رب العالمين

---

[١٤] الكافي (٦/٤٤٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك أيها الشهيد الغريب، السلام عليك وعلى أهل بيتك وأصحابك، فيا ليتني كنت معك، فيا ليتني كنت من أصحابك، فيا ليتني فزت كما فاز أصحابك

أردت أن أتحدث[1] حول الإجابة على هذا التساؤل: كيف تغيّرت وزالت تلك الحالة من الذّل التي ابتُليت بها الأمة ككل؟ أرى من المفيد أن أذكر أولا بعض المقدمات الأخرى

لا أريد أن أتحدث عن تاريخ البيعة، وأنها كيف كانت تُؤخذ، وماذا كان يترتّب عليها من آثار، أريد أن أقول باختصار: إنّ أمير المؤمنين (ع) لم يُجبِر أحدا على البيعة، بل الناس أجبروه ولم يكن يريد البيعة، بقيَ هنالك أناس لم يبايعوه، فلم يتصدّى لهم إلا أن يكونوا قد خرجوا عليه خروجا سافرا، وبعد أن استقرّ له الأمر خرج عليه طلحة والزبير وعائشة، وكان طلحة والزبير قد بايعاه، فقَتَلا مجموعة من أصحابه (ع) ومن المسلمين في البصرة، هنالك حصلت الحرب، معاوية بقي في الشام بعذر أنه لم يبايِع، وإذا ما بايع ليس عليه حق، وكانوا بعدئذٍ يدّعون أن طلحة والزبير كذلك أُجبرا على البيعة، فكان لهما الحق أن لا يطيعا أمير المؤمنين (ع)، هذا الأمر قد ركّزوا عليه كثيراً بحيث ترسّخ في أذهان الناس أن الإجبار على البيعة لا يصح، وكذلك يحقُّ للشخص أن لا يبايِع، أمّا إذا استقرّ الأمر لشخص وأجمعت الأمة على خلافة شخص ففي هذه الصورة لا يجوز لأحد أن يخرج عليه ويشقّ عصا الأمة، هذا المبدأ هُم ركّزوا عليه لمصالح كما أشرت إليها

هذا المبدأ كان منتشرا في أذهان الناس، وعلى هذا الأساس حينما الإمام الحسين (ع) كان قد بايع معاوية حين الصّلح ما كانت الأمة تجوِّز له أن ينكُث البيعة، الناس ما كانوا يجوِّزون له (ع) –حسب مقاييسهم وحسب ما تربّوا عليه– أن يخرج عن البيعة، أمّا بعد وفاة معاوية الأمر لم يكن مستقرا ليزيد، فكان حسب مقاييس الناس –التي أخذوها من ذلك المنفذ الهرمي الذي أشرت إليه في الليالي السابقة– يحق للحسين (ع) أن لا يُبايع ولا يُجبر على البيعة، وكذلك لا يحق لأحد أن يجبر أهل الكوفة على البيعة حسب نفس المبدأ، المبدأ

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٤ محرم ١٤١٥ هـ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

الذي كان الناس يتعاملون على أساسه وتربّوا على هذا الأساس، هُم لم يكونوا يفكرون في أن يأتي وقت سيُبتلون بهذه المشكلة وأنهم سيواجهون هذه المشكلة (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)[٢]، يُنقل أنّه حينما قُتل عمّار بن ياسر في حرب صفين تأذّى معاوية وعاتب عمرو بن العاص[٣] لأنه هو الذي كان ينشر ويروّج أنّ رسول الله (ص) قال (عمار تقتله الفئة الباغية)، فعمرو بن العاص قال له: حينما أنا كنت أنقل هذا الخبر لم يكن يخطر في بالي أن تكون حرب صفين[٤]، هنا كذلك، هذا ذكرته كتمهيد، أذكر شيئاً آخر كمقدمة كذلك:

لا يُتوقع أن الإنسان يستطيع أن يضبط كل النصوص التي تتحدث عن مسيرة الإمام الحسين (ع) حتى إذا كانت تلك النصوص كلها صحيحة، تبقى دائماً بعض النصوص خارجة عن التفسير وغير مفهومة، هذا من الضروري أن ينتبه إليه الشخص، الإنسان حينما يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات لا يستطيع أن يفهمها أو ذهنه لا يستطيع أن يتقبّل المعنى الظاهر لهذه الآية، غير صحيح أن نركّز على أسلوب محاولة فهم كل شيء في التعامل مع القرآن فالمسار العام للآيات كدين هو المهم والأساس[٥]، ليس من الضروري أن تُفهم التفاصيل والقضايا الجزئية، في حياة الأئمة (ع) كذلك إذا الإنسان كانت له مقاييس واستطاع أن يفهم المسار العام والمحكم لحياة أي إمام من الأئمة (ع) هذا يكفي، فهنالك نصوص تبقى خارج هذا التفسير وهذا المسار المحكم، وعدم فهمها لا يضر

أنا أتحدث عن المسار المحكم في مسيرة الإمام الحسين (ع)، يعني عن الأبعاد المحكمة، عن المعالم المحكمة التي تنسجم مع مسيرة الإمام الحسين (ع)، والتي تنسجم مع ولاية أمير المؤمنين (ع) وسنة رسول الله (ص) وسنن الأنبياء كلهم وسنة الإمام القائم (ع)، ثم هنالك شيء آخر يجب أن يُنتبه له وهو أن كثيرا من الأشياء أنا أغفل عنها أو أُغفلها عمدا لأنني لا أستطيع أن أتحدث عن كل الجوانب حتى إذا كانت مهمة بهذه المسيرة

الآن أرجع إلى الموضوع الذي ذكرته في الليالي الماضية، أن الأمة كان وضعها وضعا هرميا، في القمة إمامة المترفين والقاعدة العامة تنسّق مع هذه الإمامة المترفة، شرحت هذا الأمر بمقدار وأضيف للتوضيح وللترسيخ أكثر:

---

[٢] (فاطر:٤٣)

[٣] البداية والنهاية (٢٩٩/٧)

[٤] سير أعلام النبلاء (٧٥/٣)

[٥] بين السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن (قرآن)**، ومنها في فصل (**والأمران الآخران**)

هنالك أناس كثيرون كانوا يرفضون إمامة يزيد بن معاوية، في الكوفة لم يبايعوا يزيد، وحتى في عهد معاوية كانوا يرفضون إمامة معاوية وخلافته، ما كانوا راضين بها، لكن ذلك الرفض لم يكن يعني عدم البيعة لإمامة المترفين وللاتجاه الذي كان يزيد يمثّله، قسم كبير من هؤلاء الذين كانوا يرفضون إمامة يزيد وكانوا يريدون أن تتبدّل هذه الإمامة إلى إمامة أخرى كانوا لا يريدون أن يتغيّر الوضع الهرمي وإنما يريدون أن الأشخاص الذين هم في قمة الهرم يتغيّرون فقط، بدل يزيد يكون الإمام الحسين (ع)

كان أمير المؤمنين (ع) في عهده يعاني من هذه المشكلة، الذي قرأ بإمعان –بحثاً عن دين لا كقضية ترفيّة– يجد أن أمير المؤمنين (ع) كان يعاني من هذه المشكلة، حتى بعض الذين معه كذلك كانوا يفكرون فيُنقل أنهم اقترحوا عليه أن يجعل المجتمع مجتمعا هرميا مثل مجتمع معاوية، (...فقالوا يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية)[٦]، قليل من الناس الذين كانوا يفكرون أن إمامة الإمام الحسين (ع) أساساً تختلف عن إمامة يزيد

الآن كذلك كثير من المؤمنين المخلصين هكذا يفكرون، يفكرون بأن العالم إذا يتغيّر وأصبحت الإمامة للإمام القائم (ع) حينما يظهر ماذا يحصل؟ الوضع يبقى كما هو باستثناء بعض التغييرات، بعض الأشياء المحرمة تزول، لكن الاتجاه يبقى نفس الاتجاه والرغبات تبقى نفس الرغبات، هذه المشكلة بارزة، يُنقل أن (المعلى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله (ع) يوما جعلت فداك ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت لو كان هذا إليكم لعشنا معكم...)[٧]

من الأشياء الرئيسية في ذلك المجتمع والمعالم الرئيسية لاتجاه إمامة المترفين أنّ الحياة حينما تصبح لذيذة يصبح الموت شيئا مكروها، أنّ الحياة تصبح ذات قيمة مستقلة، فالحياة تصبح هي هدف، وعلى هذا الأساس نجد أنّ كل من التقى بالإمام الحسين (ع) كان يدعوه إلى الحياة، كان يحذّره من الموت، تموت تُقتل، وكثيرون منهم كانوا يتعجّبون، بعض الأحيان الإمام الحسين (ع) كان يسكت، كانوا يتعجّبون أنّ هذا الشخص كيف

---

[٦] الكافي (٤/٣١)

[٧] الكافي (١/٤١٠)

لا يعرف المنطق، هذا هو المقياس إذا أردتم أن تعيشوا الحسين (ع) كإمام حقيقي، يعني حياة الإنسان الداخلية تمر عبر الحسين (ع)، يجب أن يُنتبه لهذه الأشياء بشكلها الواقعي

يُنقل أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كلّم عمرو بن سعيد بن العاص –والي يزيد في مكة– وحاول أن يأخذ كتاب أمان أن لا يُقتل الإمام الحسين (ع) ولا يُؤذى[٨]، هذا ماذا يعني؟ يعني –لو صحّ هذا– أن عبد الله بن جعفر كان يفكّر بأن الحسين (ع) إذا يعيش فحياته لها قيمة واقعية، يعني هي هدف من دون أن تكون وسيلة أو مقدمة لأي شيء آخر، تلك الفقرة من الدعاء: (وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي أو يستحكم غضبك علي)[٩] هذا المنطق لم يكن موجودا في ذلك الحين، هل الحياة تُعتبر متاعا؟ لا، بل تعتبر الحياة أساسا، البيت له قيمة، الراحة لها قيمة أساسية مستقلة، اللذة لها قيمة، الإنسان يأكل ليلتذ، ينام ليرتاح يبني ليرتاح، فقط ليرتاح لا أنه يبني ويرتاح ليفعل شيئا أو لِيُنتج شيئا هذا المنطق ما كان موجودا، كما هو الآن عند كثيرين من الناس

أنت حينما قرأت أو تقرأ النصوص المنقولة في هذه المرحلة بدقة، إذا تكون منتبها وتُركّز على هذه الأشياء تتعجّب أي منطق هذا المنتشر! كلٌ هكذا يتكلم: تُقتل لا تخرج، بعضهم يقولون لا تخرج نفتقدك! بعضهم يقول لا تخرج فإنك إذا قُتلت فقريش تذِل! العرب تذِل! وهكذا، هذا هو المقياس، الذّل والعز، أنا ذكرت أنك إذا تريد أن تفهم ذلك الوضع راجع أوضاعنا نحن الآن، كثيرا ما نقرأ ونسمع ما يُعبَّر عن أبي عبد الله الحسين (ع) بـــ(أبيّ الضيم)، الضيم ماذا يعني؟ يعني الظلم، يعني رَفَض الظلم، ثم بعد ذلك راجِع أو استقرئ الظلم له معنى في ذهنك، حينما تسمع هذه الكلمة في ذهنك ماذا تعني؟ فوراً تنصبغ هذه الكلمة وتتأطّر وفق محتويات ذهنك أنت، عندك تصور عن الظلم؟ عندك تصور عن العدل؟ هؤلاء هكذا كانوا، لديهم مقياس ومنطق للعز والذل، كذلك الآن

هنالك نص ينقلونه بصيغ مختلفة، أنّ الحسين (ع) قال بهذا المضمون: (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي–يعني الدم–، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة)[١٠] يعني

---

[٨] تاريخ الطبري (٣٨٧/٥)

[٩] الصحيفة السجادية (دعاء مكارم الأخلاق)

[١٠] تاريخ الطبري (٣٩٤/٥)

–حسب هذه العبارة– أنّ هؤلاء إذا قتلوا الإمام الحسين (ع) الله يسلّط عليهم من يذلّهم إذلالاً شديداً، ماذا يعني هذا؟ بمجرّد أنه أنت تواجه هذه الكلمة وهذه العبارة ماذا تعطيك؟ ذهنك يتعامل مع هذه الكلمة وفق خلفيّته، الذل، التسليط، الذل يعني شيئاً، التسليط كذلك يعني شيئاً، أريد أن أتحدث عن هذا

هذا معلم بارز ومهم من معالم الاتجاه في ذلك الحين، الاتجاه الدنيوي، الإنسان يستطيع أن يجادل كثيراً، يستطيع أن يجادل في كل كلمة من كلمات الإسلام، هؤلاء الذين كانوا يحرِّفون الدين في الأمم السابقة (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[11]، هؤلاء كانوا يجادلون وكانوا يستطيعون أن يبرّروا أي شيء على أنّ هذا هو موضعه الصحيح، كانوا يتحدّون أن أحداً يستطيع أن يُثبت أن هذا ليس بموضعه الصحيح، يحرّفون أن موضع عليٍّ (ع) هو هذا، الآن كذلك يحرّفون موضع الإمام الحسين (ع) هو هذا، موضع المسجد هو هذا، موضع القرآن هذا، وموضع كل شيء من الدين، الإنسان يستطيع أن يحرّف ويتحدّى، يستطيع أن يتحدّى أي إنسان يأتي فالجدل لا يمكن أن يُقنع فيه إنسانا، أما الإنسان إذا تعامل مع الأمور كدين بينه وبين نفسه ليهتدي فهنالك يعرف ما هو الجدل وما هو غير الجدل

هنالك إمامتان إمامة للدنيا وإمامة للآخرة[12]، الله يريد الآخرة، لا يريد الدنيا إلا بمقدار ما هي تمهِّد للآخرة والشيطان يزيّن في الأرض يريد الدنيا، إرادة الدنيا والاهتمام بالدنيا هذا شيء الإنسان يستطيع أن يعرفه بشرط أن لا يكون ذهنه محرّفاً بإيحاءات شيطانية، يستطيع أن يعرف المسجد الدنيوي، يستطيع أن يعرف المسجد الأخروي الذي يدعوك للآخرة، يستطيع أن يعرف الكتاب الدنيوي ويستطع أن يعرف الكتاب الأخروي، يستطيع أن يفهم الحديث الديني الدنيوي ويستطيع أن يفهم الحديث الديني الأخروي، يستطيع أن يعرف السلوك الدنيوي ويستطيع أن يعرف السلوك الأخروي، يستطيع أن يعرف التربية الدنيوية ويستطيع أن يعرف التربية الأخروية، هذه الأشياء الإنسان يستطيع أن يعرفها، كذلك يستطيع أن يجادل ويدّعي فيها أنه لا، أنا أريد هكذا! أنا أريد الآخرة! فهنا الإنسان لا يجد مجالاً إلا أن يسكت ويتألّم

من المعالم البارزة للاتجاه الدنيوي أن الحياة تصبح لها قيمة أصيلة مستقلة، الآن مثلا إذا شخص أُصيب بمرض يقال له: لا ترى شراً –كالموت مثلا–، لا أراكم الله مكروها بفقد عزيز، أليس هذا ما يُقال؟ لو نستقرئ:

---

[11] (النساء: ٤٦)

[12] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**معنى الإيمان بالآخرة**)

كم من المؤمنين يرون أن في هذا خللاً؟! يرون بأن الموت شر فلا يريك الله إياه! هذا شر ولا نشتهي أن يريك الله هذا! لأن الحياة لها قيمة مستقلة، هذا معناه أنه الاتجاه اتجاه دنيوي، وعلى هذا الأساس كل شيء يترابط بالإمامة[١٣]، فالإمامة تصبح إمامة دنيوية، والأشياء التي ترتبط بهذا الاتجاه تبرز في المجتمع، الأشخاص الذين يمثّلون تلك الأمور يصبحون هم الأئمة لأنهم يخدمون هذه الحياة، مثلا الطبيب أو المهندس أو الذي يصنع الكومبيوتر هم يصبحون أئمة ويبرزون في المجتمع فالناس يعجبون بهم ويرغبون فيهم!

هذا هو الوضع، الحياة دائما هكذا ينظر لها الناس، الحياة لها قيمة مستقلة، أنت لو كنت حاضرا في ذلك الحين ما هو موقفك؟ حينما يريد الإمام الحسين (ع) أن يخرج وواضح أن هذه السفرة سفرة خطرة وراؤها قتل، لا يوجد فوق الموت شيء في هذه الدنيا، فإذا الإنسان واجه الموت يأخذ احتياطاته وحذره بشدّة، حتى إذا هنالك احتمال واحد في المئة أن يكون هنالك موت فهو يهتم بذلك الاحتمال، أليس كذلك؟ لكن الحسين (ع) لماذا لا يفعل هذا الشيء؟ يُتعجّب منه، عبد الله بن جعفر يتوسّط له أنه يأخذ له أمان، فلَم يقبل الإمام (ع) لماذا؟ إذا كانوا يأذنون له بالرجوع هل كان سيرجع فعلا؟ من خصوصيات مسيرة الحسين (ع) أنها كانت مسيرة صدق تطبيقاً للآية الكريمة ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[١٤]، كان واضحاً من دون أي مكر، حتى المكر الجائز –نفترض حتى التورية– الإمام الحسين (ع) ما كان يفعله، بوضوح إما يسكت أو إذا تكلّم يتكلّم الحق، يقول الحق وبصدق يتكلّم، كان يعرف أنه هذا المسير سيكون بهذا الشكل فرفض الأمان، لِمَ رفض الأمان؟ لأن الأمان هو البيعة، ربما هُم ما كانوا يريدون منه البيعة الواقعية ويقبلون البيعة الخارجية الظاهرية، لكن الأمان كان يعني أنه قَبِل أن يعيش تحت ظِلال وأمان وعِظم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق

راجعوا هذا النص موجود في الطبري، نص رائع عظيم جدا يهزّ الإنسان هزاً، كم كان الإمام الحسين عظيماً، وكم –والعياذ بالله– حُقِّر بجهل وغفلة، اقرؤوا هذا النص –يُنقل أنه (ع) كَتَبه، والنص المكتوب يختلف عن النص اللفظي المنقول لأنه أقل عرضة للتشوّه–، فهنا يتبيّن للإنسان الذي يتعقّل ويفكّر، لا أنه لا

---

[١٣] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**إمامة بمظهرين**)

[١٤] (الإسراء: ٨٠)

يتعقّل كالصّم البكم ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[١٥]، الإمام الحسين (ع) أراد أن يرجع إلى المدينة والُحر كان يمنعه (ع) وأراد أن يأخذه إلى الكوفة، في هذا الطريق كانت تحصل هنالك أشياء كثيرة، الحُر كان واقعا حرا، كان يَعي ويفكر، على الرغم من أنه ما كان موجوداً في الساحة حسب التعبير، ومن أخطر الأشياء أن الإنسان يكون موجوداً في الساحة باسم الدين ويتشوّه ذهنه، الإنسان إذا لم يكن مهتديا من الصعب جدا أن يتعامل مع الدين بحرية وإنما يدخل الدين عن طريق الرجال، ولكن الحر كان يُبصر الأمور ويربط الأمور بعضها ببعض ويقارن، بالتدريج ينتبه، من الأشياء التي أرى أنها أثّرت عليه كثيرا وكان يُلح قال إنّي أحذّرك إنك مقتول، إنك إذا لا تستسلم تُقتل، الحر بصدق يتكلّم ويريد أن يفهم، بالإمكان أن يفهم، فيُلح عليه ويبحث عن حل وسط، دائماً الإنسان يبحث عن حل وسط، دنيا وآخرة، دائماً الإنسان حينما يريد أن يجمع بين الله وبين الشيطان، بين الآخرة وبين الدنيا، فماذا يحصل؟ فالنتيجة تكون في صالح الدنيا، جرّب هذا الشيء، عن النبي (ص) عن الله سبحانه: (نِعم الشريك أنا فمن أشرك بي شيئاً تنازلت عن حقي كله له)[١٦]، فعمل الإنسان كله يصبح لشريك الله عز وجل

هذا النص لاحظوا: (...وسار الحر في أصحابه وهو يقول: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، فقال له الحسين (ع): أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو أوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله (ص) فخوّفه ابن عمه وقال: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجــاهد مسلما
وآسى الرجـــال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبــوراً وباعــد مجرمــا
فإن عشــت لم أندم وإن مت لم أُلم ... كفــى بك ذلاً أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه، فكان يسير بأصحابه ناحية، والحسين (ع) في ناحية أخرى...)[١٧]

الحُر حينما سمع تلك الأبيات ابتعد، الحر رأى أشياءً وسمع أشياءً وكان يفكر فيها –أنا هكذا أفهم–، من الأشياء المهمة التي أثّر عليه هو هذا، الآخرون كانوا يتعجّبون، أي منطق هذا، هذا يُقدم على القتل، أما

(١٥) (الأنفال: ٢٢)

(١٦) بحار الأنوار (٣٠٤/٦٩) نقلا عن عدة الداعي

(١٧) الإرشاد (٨١/٢)

الحر بدأ يفكّر لِمَ يُقدم على القتل؟ هذا الإنسان لِمَ لا يخاف من القتل؟ ماذا يعني هذا؟ بدأ يفكر، ابتعد عن الإمام الحسين (ع)، كان بعد هذا يراقب لكن يفكر ليستنبط يفكر ليستنتج، وكان قوياً، ليس كل إنسان بهذه القوة فهنالك كان أناس يحبون الإمام الحسين (ع) ويعرفونه لكنهم ما كانوا يستطيعون نصرته نتيجة ضعفهم، ولو أنّ وجود الإمام الحسين (ع) يذيب كل ضعف، ويعطي للإنسان كل قوة

أنت لو كنت في ذلك الحين، وكنت تعرف الإمام الحسين وتؤمن بدربه (ع)، وحينما تسمع مثلا تلك القصة حينما قال الإمام الحسين (ع) وهو في الطريق (إنا لله وإنا إليه راجعون) فعلي ابنه ذلك الشاب الذي كان في مقتبل الحياة ويُنقل أنه كان وسيما وهو هاشمي ابن رسول الله (ص) وكانت كل أبواب الحياة مفتوحة له، يسأله لِم تسترجع يا أَبَت؟ (قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، قال له: يا أبت، إذا لا نبالي، نموت محقين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده)[18]، والإمام (ع) إنسان وهذا طبيعي يحصل، يُنقل عن حجر بن عدي ذلك الإنسان القوي الصلب الذي تزول الجبال ولا يزول، قالوا له تنازل والعن أبا تراب، تخلّى عن دينك هذا وإلا تُقتل، قال: لا أفعل، ...فحينما رأى القبر محفوراً والكفن منشوراً، فبدأ يرتجف، قالوا له: تخاف؟ فَقَالَ: ما لي لا أجزع وأنا أَرَى قبرا محفورا، وكفنا منشورا، وسيفا مشهورا)[19]

لو كنت في ذلك الحين مع الإمام الحسين (ع)، ألا تذوب كل عوامل الضعف فيك؟ ألا تشعر بالعز؟ ألا تشعر بأن كل شيء في هذا الكون لا يسوى أن الإنسان يتنازل عن دينه لأجله؟ هكذا كان أصحابه (ع)

وفقنا الله تعالى لمراضيه، وقرّبنا الله من الحسين وجعلنا من مواليه، ومنحنا الله وأعطانا عزّ الحسين (ع) وقوة الحسين (ع) ومِنعة الحسين (ع) وإباء الحسين (ع) ودين الحسين (ع) وبصيرة الحسين (ع)، والحمد لله رب العالمين

---

[18] تاريخ الطبري (٥/٤٠٧)

[19] تاريخ الطبري (٥/٢٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

السلام على الإمام الحسين الشهيد الغريب، السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، فيا ليتني كنت معك وحشرت معك ودخلت الجنة معك، فيا ليتني كنت معك فأُنوِّر الطريق للمؤمنين وأشفعهم إلى ربهم، وذكرى مقتلي يقويهم ويرسخ فيهم الإيمان

في الأحاديث السابقة كنت أستهدف أن أبين أمرا –هذا الأمر الذي أستهدفه هذه الليلة[1] كذلك– وهو أن استشهاد الإمام الحسين (ع) كيف حرر الناس؟ كيف كسر تلك الأغلال التي كانت تربط الناس بعضهم ببعض وتربطهم بإمامة المترفين التي شرحتها؟ الناس –كما قلت حسب رأيي وفهمي– كانوا كلهم يشكلون هرماً، لكن كان الناس ثلاثة أنواع: فئة من الناس كانوا يتبنّون الهرم الموجود بأشخاصه وبعناصره فكانوا يريدون أن يكون يزيد كشخص إماما

فئة أخرى كانت تتبنى هذا الهرم وتعتقد بصواب هذا الهرم –وقد شرحت بمقدار وضع هذا الهرم وأبعاده الرئيسية[2]– وكانوا يتعاملون على أساس من هذه الإمامة وهذا الاتجاه في حياتهم العامة وفي ضمائرهم وفي رغباتهم، لكن كانوا يكرهون يزيد بن معاوية، وكانوا يريدون أن تتغير العناصر التي كانت تُشكِّل القمة، لا أن الوضع يتغير بل الأشخاص يتغيرون، كانوا يكرهون يزيد، أنا ذكرت هذا الأمر

وهنالك فئة ثالثة وهم الأكثرية، وهم فئة اللامبالين التي ما كان يهمّها لا هذا ولا ذاك، كانت تُعايش ذلك الوضع الهرمي، حينما أقول أنهم كانوا يتبنون ذلك الوضع ويؤمنون بذلك الوضع ليس معنى ذلك أنهم كانوا منتبهين وملتفتين، فكثيرون منهم إذا كانوا يُسألون هل أنت تُرجّح الدنيا على الآخرة؟ كان يقول لا، أنا أؤمن بالآخرة، وإذا سئل أتؤمن بالدنيا؟ يقول لا، لا أؤمن بالدنيا، الدنيا حقيرة، لكن

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٥ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) تمت الإشارة إلى هذه المسألة في الحديثين الثالث والرابع من هذه السلسلة من الأحاديث

في الواقع الخارجي ما كانوا يتعاملون على هذا الأساس، يزيد أو معاوية أو الإمام الحسين (ع) أو أحد آخر لا يُفرّق بالنسبة لهم، الأغلب كانوا يشكّلون ذلك الوضع، وحسب فهمي أن الإمام الحسين (ع) لا يُعرف إلا أن يُعرف هذا الأمر الذي أسعى لأن أوضحه

كما قلت أن في الوضع الهرمي تنصبغ الأذهان بصبغة الاتجاه الموجود، المقاييس تصبح مقاييس هرمية، الناس حينما كانوا يقيسون الأشياء ويفكرون فيها كانوا يفكرون فيها ويقيسونها وفق مقاييس هذه الإمامة وهذا الاتجاه، وعلى هذا الأساس أي كلام حينما يُقال لأي شخص فوراً هو في داخل ذهنه يوجد إمام يمثل تلك الإمامة القائمة الموجودة التي هو يعيش على أساسها، فيستفتيه هل هذا الكلام صحيح أو لا، وهو يوحي إليه أن هذا الكلام اقبله وهذا الكلام ارفضه، الآن مثلا أكثر الناس –حتى المتدينين– ليسوا أحرارا بأذهانهم، أحاول أن أوضح قصدي:

الآن وجهة العالم وإمامته هي إمامة دنيوية، حتى المتدينين يأتمون بأئمة الدنيا، أرى أن هذا الأمر ليس بحاجة إلى توضيح وإثبات لمن يتدبر ويتعقل، كل شيء حتى الدين يوجّه وفق إيحاءات هذه الإمامة، المسجد يُبنى بوحي من هذه الإمامة، الصلاة تُصلى بوحي من هذه الإمامة، الزيارة تكون بوحي من هذه الإمامة، الحج يكون وفق مقاييس هذه الإمامة، الصوم يكون وفق مقاييس هذه الإمامة، المجالس الدينية تقام وفق مقاييس هذه الإمامة، الأحاديث الدينية تكون وفق مقاييس هذه الإمامة، الكتب الدينية تكتب وفق مقاييس هذه الإمامة، وهكذا وهكذا، والناس يؤسسون حياتهم وينظمونها على أساس من مقاييس هذه الإمامة، هذه المسألة ليست بحاجة إلى إثبات وليست بحاجة إلى توضيح فمن فكر في الأمر من قبل سيَفهم الأمر ويعرفه، هنا الشخص الذي يعايش هذا الوضع سوف يعايش وضعا هرميا، حتى الخادمة – مثلاً– التي لا تملك إلا مبلغا قليلا من المال هي تقدِّس هذا الوضع، هي قد تكره بعض العناصر في هذا الهرم لكن الهرم –كهرم– تقدسه، أي شخص إذا يتكلم مع شخص –ضمن هذا الهرم– فيقول له بأن هذا الوضع غير جيد أو أن هذا الوضع وضع خاطئ أو يقول فكِّر هل ترى بأن هذا الوضع وضع صحيح؟ هل رغبات هذه الإمامة هي رغبات صحيحة؟ لا يستطيع أن يفهم لأن من يمثّل هذه الإمامة

موجود في نفسه وذهنه ولا يأذن له بأن يفكّر إلا في مسار هذه الإمامة وفي هذا الطريق، في ذلك الحين هكذا كان

لو كان الإمام الحسين (ع) يقول للناس أن جدّه رسول الله (ص) والأنبياء (ع) بُعثوا ليُحقِّروا الدنيا الطاغية، لتكبر الآخرة في الأذهان وفي النفوس وأن لا يستذل أحدٌ أحداً، أن لا تكون هنالك فتنة بكل معنى الكلمة فلا شيء يستذل إنساناً، الحياة والدنيا تصبح متاعاً ووسيلة وطريقا وأكلا ونوما للآخرة، ما كانوا يعرفون هذا المنطق

حتى أمير المؤمنين (ع) قبل عشرين سنة من هذا التاريخ، حينما كان يتحدث بهذا المنطق وكان يريد أن يذكر هذا الأمر، كان كثيرون يتهمونه بأنه يكذب على رسول الله (ص)، فالمجتمع كان منغلقا أمام الإمام الحسين (ع)، ما كان من الممكن أن يتغير شيء وأن يعرف الناس المعروف والمنكر إلا أن يُفتّت هذا الارتباط الجهنمي الذي كان موجودا فيستطيع الفرد أن يفكر بمعزل عن الآخرين، أنت لو كنت في جزيرة وولدت وتربيت فيها، ولم تُغذّ بهذه الإيحاءات الشيطانية التي تغزو الأذهان ليلا ونهارا عن طريق المظاهر الخارجية في المجالس وفي الديوانيات وحتى في المساجد وفي الكتب الدينية، لو لم يُغذّ الذهن بهذه الأشياء هل كنت أنت تولد وتكبر وتتصور بأن الحياة الدنيا هي أهم شيء؟ لم يكن الأمر بهذا الشكل، كنت تشتهي الحياة وبطبيعة الحال هذه الشهوة موجودة، لكن هل كنت تفلسفها وتجعل منها ديناً وتقيس الأشياء على أساسها؟ هل كنت تستعبد الناس على أساسها وتستذلهم وتطرح مقاييس للفضيلة وللتمايز؟ ومن يملك أكثر هو الأفضل! ومن يركب سيارة أغلى له قيمة أعلى! هذا الشيء لم يكن يحصل، لِمَ؟ لأن الفرد في ذلك الحين في ذلك المثال كان يملك نفسه، هو يفكر لنفسه من دون التأثر بأي إنسان آخر فلا يوجد استضعاف، لم يكن هنالك استضعاف في ذلك المثال ولا استذلال، شخص يخطط ويبرمج ويوحي للإنسان ليجعله يفكر بطريقة معينة، هذا الوضع الذي كان حاصلا، فالفرد لا يستطيع أن يفكر بمعزل عن الآخرين[٣]

[٣] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت ١ – الفكر والإيمان**، فصل (**التفكر والتقليد**)

تحدثت عن هذا الأمر كثيرا، كم نحن نقدّس باسم الدين من اخترع الطباعة؟ من دون أن نسميه –نصرانياً كان أو يهودياً–، كم نقدس هذا الاتجاه والطريق وهذه الإمامة! كم نقدس الطب باسم الدين! إذا شخص استطاع أن يخترع دواءً يستطيع أن يمد في عمر الإنسان مقدار يوم واحد فهذا الشخص كم نحن نقدسه باسم الدين! لا أحد يفكّر لِمَ؟! هل هذا التقديس في محله أو لا؟ على أقل التقادير كتساؤل، لماذا لا أحد يفكر؟ لأنه هكذا يوحى إلينا، لا أحد يستطيع أن يفكر بمعزل عن الآخرين بل وفق مقاييس الناس يفكر[٤]، بعض الأحيان من الممكن أن الناس يستهزئون بهذا المنطق ويرونه منطقا غريبا غير مقبول أبدا، في هذا الوضع ومع مجتمع كهذا ماذا تفعل؟

قلت بأن رسول الله (ص) أُمر بأن يُقاتل أئمة الكفر حتى يتحرر الناس، في المجتمع الجاهلي كان هنالك أناس مستذَلّين ومستضعَفين؟ حينما كان يُتحدث معهم ما كانوا يفهمون، حتى بني إسرائيل الذين كانوا منغلقين، حتى بين الأقباط الذين كانوا يعرفون، كانوا محافظين على تراثهم أن هؤلاء من أولاد الأنبياء وأن الله بعث لهم أنبياء كثيرين، مع ذلك هؤلاء تأثروا بالمقاييس الفرعونية فكانوا يعيشون هذه المقاييس (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)[٥]، الله تبارك وتعالى أغرق فرعون ونجّى جثته حتى يرون أن ذلك الإنسان الطاغي الذي كان يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)[٦] بأيِّ حال يكون هو، ذلك الإنسان الذي تقدِّسه لأنه يزيّن الحياة ويريّح الحياة ويمدُّ في الأعمار، حينما تفكِّر يمدُّ في أعمار من؟ يريِّح الحياة لمن؟ هذه الحياة هل لها قيمة؟ لم يكونوا يفكرون!

أصبح الدين في عهد الإمام الحسين (ع) يُتعامل معه أنه عبارة عن ديكور فقط، توجد صلاة يوجد صيام يوجد حج يوجد أشياء كثيرة، يوجد الحجاب في ذلك الحين ما كان هنالك سفور والناس بشكل عام لا يشربون الخمر، يوجد تقيُّد بالمسائل الشرعية ويُقدَّس الناس الورعون مثل عبد الله بن عمر، لكن مع كل هذا الدين لا يكون دينا، لا يكون شيئا في صميم الحياة يقود الحياة، بل الحياة ليست منصبغة بصبغة الدين، يوجد الإيمان بالآخرة لكن الإنسان حينما يفكر هل أنا أؤمن بالآخرة؟ نعم يقول أنا أؤمن

---

[٤] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في مقال بعنوان (**التفكير بطاعة وولاية**)، وهو منشور على الموقع الإلكتروني (**مذكرات**)

[٥] (الأعراف: ١٣٨)

[٦] (النازعات: ٢٤)

بالآخرة لأن القرآن هكذا يقول لكن لا يتعامل مع الإيمان بالآخرة في صميم حياته، لا ينام بها ولا يقوم بها ولا يأكل بها، لا يصادق على أساسها، لا يبرمج حياته على أساسها، لا يخطط على أساسها، لا يُكرِم على أساسها ولا يتبرأ على أساسها، هذا غير موجود، فقط يلتقطون من الدين بعض الأشياء، هكذا كان الوضع

الشيء الوحيد الذي كان موجودا وكان رصيد الإمام الحسين (ع) هم الفئة الثالثة، على الأكثر هؤلاء الذين ما كانت لهم مصالح مباشرة في الوضع الهرمي، كانوا يعيشونه كدين لكن ما كانوا مرتبطين ارتباطا بالعناصر الموجودة في هذا الهرم، هؤلاء منطقهم كان منطقا مزيفا مثل الآن، الشيء الوحيد الذي كان باقيا فيهم الحالة النفسية، أو هذا الذي يُسمى بالضمير، بالوجدان، مثلاً: أنت إذا رأيت طفلا معوقا، شخص يأتي فيتعمّد إيذاءه ويقتله بتعذيب هذا يؤذيك، قد يُبكيك ويُغضبك ضد ذلك الشخص الذي يعذِّب، حتى الإنسان الكافر كذلك قد يتأذى، فإذن الناس متشابهون في هذا الضمير، سمعتم أو قرأتم أن عمر بن سعد بكى على الإمام الحسين (ع)، يُنقل أنه (خرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول: ليت السماء تقع على الأرض، وجاءت عمر بن سعد فقالت: يا عمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟ فتحادرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنه)[٧]، يُنقل عن يزيد بن معاوية حينما رأى منظر الأسرى فدمعت عينه، رأى منظرا مؤذيا للضمير فدمعت عينه، لكن هؤلاء فقط بمقدار هذه الدمعة يتفاعلون، ولا يتفاعلون بكلّهم مع الحادثة

هنالك أناس ليست لهم مصلحة فإذا رأوا قضية منطقهم يكون منغلقاً فلا يفهمون، حينما يُحاوَرون ليسوا مستعدين أن يسمعوا، لأن الوسواس الخناس من الجن والناس في نفوسهم، بإيحاء من هذا الخناس يتصرفون ويرفضون ويقبلون، لكن إذا رأوا شيئاً يستفزُّ ضميرهم ويثيره يتفاعلون، هذا التفاعل يكون شديدا إذا كان هذا المنظر يحتوي على شيء شديد

فكِّر معي، نفترض أن شخصا يأتي فيعذِّب طفلا معوقا ويقتله، هذا الطفل يُظلم قد يُبكّيك، وقد تتأذى وتدافع عنه، على هذا الأساس توجد الحركات التي تُسمى بالحركات الإنسانية، إذا شخص على

---

[٧] البداية والنهاية (٨/٢٠٤)

أساس من موقفه ومبدئه يُظلم، إذا توفّر في هذا الظلم شروط –لا أستطيع الآن أن أوضح تلك الشروط– فسوف يثير النفس[٨]، كما ضربت لك المثل إذا رأيت طفلا معوقا يُعذَّب فقد تتأذى وقد تبكي وقد تدافع عنه وتغضب على ذلك الشخص وقد تكرهه، وأيّ وقت رأيته تُبدي الغضب ضده وتُظهر كرهك، قد تتحدث وتنشر هذه القضية، من الممكن لعدة أيام لا تستطيع أن تنام، كل هذا موجود، لكن هذا فقط يبقى تفاعلا نفسيا وضميرياً بحتاً، تأذٍ وحزن فقط، أما إذا كان ذلك المظلوم صاحب مبدأ والمبدأ كان واضحا وعلى أساسه يُظلم فضميرك يهتز وتتأذى، هذا التأذي قد يصل إلى مرحلة شديدة نتيجة خصوصيات هذه المظلمة، فهنا يتوسع هذا ولا يبقى فقط مجرد تأذٍ في الضمير ومجرد تفاعل نفسي بحت وبكاء، إنما هذا سوف يغزو الذهن والنفس من طريق آخر ومن باب آخر غير الباب المنغلق، أنت إذا تتعامل فقط مع ذهن الإنسان ومع عقل وفكر الإنسان فهو لا يفهم ولا يستمع ولا يصغي، مثل الدواب (إنَّ شرَّ الدوابّ عِندَ الله الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون)[٩]، (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا)[١٠]، أما إذا دخل هذا المظلوم ضمير الإنسان فعن طريق الضمير سوف يدخل نفسه، وهنا يبدأ يفكر في هذا الشخص فيتفاعل وينفتح وتذوب الحواجز، راجع نفسك سوف تجد هذا الشيء، هذا الذي حصل في عهد الإمام الحسين (ع)، كيف؟

بُعدان رئيسيان لمسيرة الإمام الحسين (ع) يجب أن لا يطغى أحدهما على الآخر – أرى أن إعجازاً إلهياً وازن بين هذين الأمرين– وهما المبدئية والمظلومية، المبدئية حيث الدين بكل جلاء وبكل وضوح، ومن جانب آخر المظلومية بكل ما تتصور من أبعادها، لا المظاهر المظلومية تُغطِّي على المبدئية وعلى دين الإمام الحسين (ع) ولا تلك المبدئية تؤثِّر على مظلوميته، مرة أخرى اقرأ الأحداث بهذه النظرة، إذا قرأت أحداث المأساة بهذه النظرة ماذا ترى؟ ترى أن الإمام الحسين (ع) في كل خطوة يخطوها يجسِّد المظلومية الكاملة، ومن جانب آخر يمثِّل الإسلام بكل وضوح وجلاء في أقواله وفي مواقفه، نحن إذا ركّزنا على مظلوميته ستطغى على دينه فلن نستطيع معرفة دينه حق معرفته، وإذا ركّزنا بجهل على بعض المواقف

---

[٨] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين عليه السلام**)

[٩] (الأنفال: ٢٢)

[١٠] (الأعراف: ١٧٩)

فسوف ننتزعها من إطارها ومن جذورها فتطغى وتصطدم بمظلوميته فلا يتفاعل الإنسان مع الإمام الحسين (ع) بضميره، الإمام الحسين (ع) دخل ضمير الأمة في ذلك الحين، هزّ الأمة من قاعدتها، هزّ الهرم، علا فوق الهرم

إمامة الهرم مستحيل أنها كانت تهتز لأنها تتعامل مع الأمور وفق مصالحها، دائما تقيس أن الإمام الحسين (ع) كم تنفعها في دنياها، فالشخص يتعامل معه بالنظرة التجارية، كم يستطيع أن يأخذ من الدين بحيث لا يتنازل عن الدنيا؟! بحدود يتعامل مع الإمام الحسين (ع) ومع الدين، مستعد أن يصلي ومستعد أن يحضر المجالس لكن بهذا الشرط، أما أن يتنازل ويتعامل مع الإمام الحسين (ع) بكل أبعاده كدين ويغير حياته لا يفعل، والناس درجات بطبيعة الحال

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم)[11]، يحبّون أن يجمعوا بين الأمرين، حتى عن عمر بن سعد أبي وقاص الشاب المترف، أبوه سعد بن أبي وقاص ذلك الإنسان الثري الذي أعطته الفتوحات المنفلتة كثيرا من الأشياء وأبرزته وأصبح رئيسا وعظيما وأحد أصحاب الشورى بأمر عمر بن الخطاب، عمر بن سعد إنسان مدلل مترف ذكي داهية، عبيد الله بن زياد أمَّره على الري، فقال له قاتل الحسين (ع)، قال: لا، لأنه كان يريد أن يجمع بين الأمرين، فقال له: إما هذا أو لا ولاية لك في الري، قال: دعني أفكر هذه الليلة، بدأ يفكر كيف يجمع بين الأمرين، لو صحّت تلك الأبيات التي تُنقل عن عمر بن سعد: بسهولة كان يستطيع أن يجمع بين الأمرين، وعادة الفوز في هذا الصراع يكون للدنيا[12]

أأترك ملك الري والري منيتي ... أم أصبح مأثوما بقتل حسين

يقولـــون إن اللّه خالق جنة ... ونار وتعذيب وغـــلّ يدين

فإن صـــدقوا مما يقولون إنني ... أتوب إلى الرحمن من سنتين[13]

---

(11) تحف العقول (٢٤٥)

(12) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت١ – الفكر والإيمان**، فصل (**مصادرات**)

(13) اللهوف في قتلى الطفوف (١٩٣)

هكذا كان كل واحد يفكر في نفسه، أنه ما كان من الممكن أن تهتز قمّة هذا الهرم، ممكن تدمع عين هؤلاء، ممكن يبكون على الإمام الحسين (ع)، ممكن يصلّون لكن هُم كما هُم، الخطة نفس الخطة، دائما يجب أن تنتهي عند الدنيا، يجب أن يحصل على مركز، يجب أن يعلو ويصعد، بطبيعة الحال يقول الدين لا يمنع عن هذا! رغبته هل هي رغبة دنيوية أم رغبة حسينية؟ رغبة يزيدية أم رغبة حسينية؟ (بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)[١٤]، كان في منظورهم أن القمة لا تهتز، يُقال أن عين يزيد دمعت، عين عمر بن سعد دمعت، عيون كثيرة دمعت

كانت القاعدة هم هؤلاء الذين استُضعفوا، فالإمام الحسين (ع) بدمه الزكي الطاهر استطاع أن يعينهم، ويقطع تلك الرابطة الجهنمية، زوجة خولي هزّتها شهادة الإمام الحسين (ع) فأصبحت لا تفكّر وفق مقاييس خولي، وعلى هذا الأساس يُنقل أن خولي حينما رجع برأس الإمام الحسين (ع) بشّرها: أتيت إليكِ بالدنيا كلها، فكان المفروض أن هي تصفّق وترحِّب به، وإذا شهادة الإمام الحسين (ع) قطعت تلك الرابطة، فزوجته تصبح هي الإمام بالنسبة له (...لا وَاللَّهِ لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا، قالت: فقمت من فراشي، فخرجت إِلَى الدار)[١٥]

فكِّروا، في هذه الأيام نحن نعيش ذكرى وُجدت بأغلى النفوس وبقيمة أغلى الدماء، الدماء الطاهرات، يُنقل عن الإمام الحسين (ع): (فوالله مَا بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري مِنْكُمْ وَلا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني، أتطلبوني بقتيل مِنْكُمْ قتلته)[١٦] لِم تقتلونني؟ هكذا كان، لا نكتفي بتأثُّر ودمعة وحالة تستمر إلى مدة قليلة ضمن مكان معيّن ثم بعد ذلك الأمور تنتهي، الإمام الحسين (ع) لابد أن يدخل النفس ويُتعامل معه كإمام ويتحوّل إلى إيمان وعقيدة ونور وبصيرة وقوة وسند وذخر، إذا وجدت الإمام الحسين (ع) إماماً فتشعر قطعاً بالقوة، في نفس اتجاه قوة الإمام الحسين (ع)، جرّب، وفقكم الله تعالى لمراضيه، والحمد لله رب العالمين

---

[١٤] (القيامة: ١٤)

[١٥] تاريخ الطبري (٥/٤٥٥)

[١٦] تاريخ الطبري (٥/٤٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين[1]

السلام على الحسين الشهيد الغريب، السلام على الحسين وعلى الأرواح التي حلّت بفنائه وأناخت برحله فقد طابوا وطابت الأرض التي فيها دفنوا وفازوا فوزا عظيما، ارتبطوا بالحسين فأصبحوا أئمة للمؤمنين، قُتلوا في سبيل الله وزَيّنوا الموت المكروه، فالمؤمن يرغب في موتةٍ كموتتهم، ما أعظم مقامهم وما أكرم شخصياتهم فيا ليتني كنت معهم، فيا ليت لي إيمانهم وقوتهم وصلابتهم وعزمهم ورؤيتهم وبصيرتهم فأُحشر معهم وألتقي بهم، أقول لهم كنت أرغب أن أكون معكم أتحرك في اتجاهكم، عرفتم الحسين فتمسكتم به وارتبطتم به، أنا حاولت أن أعرف الحسين (ع) وحاولت أن أتمسك به وأقترب منه، الحسين (ع) غيّركم وصَعّدكم وكَبّركم وعَظّمكم، أنا كذلك حاولت أن أكبر بالحسين (ع) وأعتز به وأعلو به وأرتبط بالله عن طريقه فيا ليتني كنت معكم فأفوز كما فزتم

أولا أقرأ هذا الدعاء الذي يُروى بسند صحيح عن الإمام الصادق (ع) أن الإمام الحسين (ع) قاله في يوم عاشوراء حينما أقبلت الخيل عليه من كل جانب: (اللهم أنت ثقتي في كل كربة) تذكّروا نحن حينما نردد هذه الفقرات جالسون مرتاحون لا يهددنا شيء من الأخطار الدنيوية الظاهرية، الإمام الحسين (ع) لو صحت تلك الرواية كان في تلك الحالة الحرجة التي تذيب الجبال فيَذكُر ربه ويستعين به ويتقوى به وهذا هو سر انتصاره (ع) وسر صلابة موقفه وسر مبدئيته وعزه وقوته، فيا ليتني أعيش هذا الدعاء وأعيش محتواه بصورة صحيحة فأتقوى به، أليس الله هو الأعز والأجل والأكبر؟ فالإنسان إذا يرتبط بمنبع القوة وبمنبع العز يشعر بالعز وبالقوة (اللهم أنت ثقتي في كل كربة -أنت وحدك ثقتي في كل كربة من دون أي إنسان ومن دون أي شيء- **وأنت رجائي في كل شدة** -الإمام الحسين (ع) حينما كان يقول هذا بصدق كان الله رجاءه، الله وحده رجاؤه في كل شدة- **وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقةٌ وعُدة، كم من كربٍ يضعف عنه الفؤاد وتَقِّل فيه الحيلة ويَخذلُ عنه القريب والبعيد، ويشمت به العدو وتعنيني فيه الأمور** -لو صحت هذه الرواية أن الحسين (ع)

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٦ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

كان يدعو بهذا الدعاء، تفكر بأي حالة كان يدعوه؟ أصحابه قتلوا أهل بيته قتلوا ومع ذلك يقول- **أنزلته بك وشكوته إليك، راغباً فيه عمّن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت ولي كل نعمه وصاحب كل حاجة، ومنتهى كل رغبة، فلك الحمد كثيرا ولك المَنُّ فاضلا)**[٢]

أردنا التعرف على الإمام الحسين (ع)، أردت أن أشرح بعض ما أنا أفهمه ومعتقد به عنه (ع)، ذكرت في الليلة الماضية أن في مسيرة الإمام الحسين (ع) تَحقق أمران يجب الانتباه إليهما معاً، تجلى في مسيرته ظُلم أعدائه له –مظلوميته–، وتجلى كذلك الدين بوضوح، الإنسان إذا لم يكن غافلا عن هذين الأمرين يجد أن كثيرا ما تُغلَّب مظلوميته على مبدئيته[٣]، أو تُضخّم بعض مواقفه المبدئية –بعد تجزئتها بطبيعة الحال– فتضر بمظلوميته، مظلومية الإمام الحسين (ع) هي التي دخلت النفوس وتفاعلت معها، يُنقل أن الحسين (ع) بكاه كل الناس باستثناء فئات قليلة، فالبكاء عليه (ع) كان شاملا عاما، الإنسان إذا يبكي البكاء الذي ينتج عن مظلومية أحد أو أي بكاء فنفسه تتهيأ لتَقبُّل الحق، جرِّبوا، حتى الناس المجادلون والمستكبرون تحصل لديهم حالة من الحزن ثم يبكون، في تلك اللحظة لو طُرح عليهم شيء قد يتقبلونه، في حين أنهم ما كانوا يتقبلون هذا الشيء في أوقات أخرى، هكذا كان ذلك الوضع، مظلومية الإمام الحسين (ع) هي التي مهّدت الطريق لطرحه (ع) إماما ونورا ودينا وطريقا وبصيرة، بطبيعة الحال الناس بكوا الحسين (ع) وتفاعلوا معه وعرفوه (ع) لكن المعرفة كانت درجات، لم يكن كل من بكاه قد عرفه حق معرفته، معرفة الحسين (ع) حق معرفته لم يتوفّق لها إلا فئة قليلة من الناس، فالغفلة والجهل بالموازنة الدقيقة بين مظلومية الحسين (ع) ومبدئيته سوف يشوّه شهادته[٤]، مثلا يُذكر أن الإمام الحسين (ع) في اليوم العاشر قتل ألفاً وتسعمئة وخمسين شخصا غير المجروحين، هذه الكمية الهائلة! لا هذا غير صحيح

على أي حال أريد أن أوضح بعض معالم هذين الأمرين اللذَّين يشكلان البعدين الرئيسين لمسيرة الإمام الحسين (ع)، والأمران ممتزجان أي تصرف في أي منهما يُشوه الآخر، لا تكتفوا بما أنا أقوله فكّروا واستعينوا بقراءاتكم واستعينوا كذلك بمحكمات القرآن الكريم ومحكمات سيرة رسول الله (ص) وسنته وسيرة أمير

---

[٢] الكافي (٥٧٨/٢)

[٣] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين (ع)**) ص٣٠

[٤] بين السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين (ع)**)

المؤمنين (ع) وفكّروا، في القرآن الكريم هنالك موردان يذكر الله تبارك وتعالى الاستدراج (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)[٥]، وكذلك (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ)[٦] باختلاف في بداية الآية، الاستدراج وكيد الله ومكر الله تجسّد في مسيرة الإمام الحسين (ع) بشكل واضح، لم يفعل الإمام (ع) شيئا وإنما فقط لم يبايع، كل الأرضية لانتصاره (ع) هيأها أعداؤه سواءً في السابق وهم لا يعلمون أو حين قيامه (ع) بتلك المسيرة، أريد أن أوضح هذا

الإمام الحسين (ع) كان يعلم أنه يُقتل لكن نحن نفترض أنه هو ما كان يعلم، نفترض هذا، فهو حينما لا يبايع يكون أمَام أمرين إما أن يُترَك فليست عليه البيعة فيستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكوّن نفسه، ومن المؤكد أن هؤلاء سوف لا يرضون بهذا الأمر ويتصدون له، فحينما يتصدون له يقتلونه، وكان (ع) لا يريد أن يُقتل في المدينة، المدينة إلى ذلك الحين –على الرغم من وجود الأنصار فيها– كانت قرشية المذهب وقرشية الانتماء وأموية الاتجاه، ومعاوية حينما كان يحارب المدينة كانت له أحقاد تاريخية تجاهها وكان يحاربها على أساسٍ من وجود الأنصار لأنهم يشكلون الأكثرية من الناس في المدينة، لو كان (ع) يُقتل في المدينة لاستطاع أعداؤه عن طريق الأشراف –قمة الهرم الموجود في ذلك الحين– أن يستهلكوا هذا المقتل ويُميّعوه، خرج إلى مكة، يقال بَقيَ من شهر رجب يومان والطريق مسلوك، وهؤلاء بعد لم يستطيعوا أن يتخذوا القرار الصارم، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كان يشعر بشيء من الاستقلالية وعلى هذا الأساس يقال أنه لم يقبل نصيحة مروان ليقوم بقتله (ع) بتلك الليلة ولعل يزيد بن معاوية بعدئذٍ عزله عن المدينة لهذا السبب

خرج الإمام (ع) من المدينة إلى مكة ويقال أنه كان يكرر أو قرأ: (فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[٧]، مكة كانت البلد الحرام حسب الإسلام الممتد من عهد إبراهيم (ع) إلى عهد رسول الله (ص)، هذه الحرمة كان معاوية يقدّسها وقد بذل جهدا كبيرا لإبقاء مكة على كرامتها، كما قلت في الليالي السابقة أننا لا نريد أن نفتش في النفوس لكن من المحتمل كثيرا وهنالك أدلة وشواهد أن معاوية كان يفعل ذلك متأثرا بالوضع الجاهلي، فمكة كانت لها موقعٌ مُكرّم في التاريخ الجاهلي وعلى هذا الأساس

---

[٥] (الأعراف: ١٨٢-١٨٣)

[٦] (القلم: ٤٤)

[٧] (القصص: ٢١)

كان يبذل كثيرا لأجل حرمة مكة باعتبار أبي سفيان كان هو سيد مكة في حينه فكان يركّز على هذا، إذن كانوا يستصعبون أن يقتلوا الحسين (ع) في مكة، هذا القرار كان بحاجة إلى كثير من النقاش والتفكير والعزم بالإضافة إلى أن الحجيج بدأوا يفِدون، في ذلك الحين حينما كان شخص يحج كان يذهب على الأكثر ليُحصِّل على عمرة في شهر رجب ثم يبقى إلى موسم الحج، الحسين (ع) بقيَ هناك لأنهم لا يقتلونه في مكة ثم كتب إليه أهل الكوفة كتبا كثيرة ووجد هنالك مجالا فاستجاب لطلب هؤلاء وتحرك في اليوم الثامن من ذي الحجة إلى الكوفة، قبل وصوله إلى مشارف الكوفة ما كانت هنالك مشكلة، من هناك بدأت الخطة الإلهية المتجسدة في مسيرة الحسين (ع) تظهر وتتضح

الله عز وجل استدرج أعداء الإمام الحسين (ع) كما استدرج فرعون لتربية موسى (ع) وليصبح موسى (ع) سبباً لهلاك هؤلاء، الإمام الحسين (ع) كان يعلم هذا الاستدراج وكان يعلم –ليس من الضروري أنه كان يعلم هذا لأنه يعلم الغيب، يكفي أنه يفكر كأي إنسان آخر– بأن هؤلاء سوف يقتلونه والناس كلهم كانوا يُحذّرونه من الإقدام على هذا السفر، بعضهم كانوا متأكدين بأنه يُقتل وبعضهم كانوا يظنّون، وكما قلت إذا الإنسان يواجه القتل فمن الطبيعي أن يهتم بأدنى الاحتمالات، فالحسين (ع) كان يعلم

نفترض أنه كان يظن أنهم يقتلونه لكن هذا المقتل يجب أن يكون بحيث يُحقق الهدف المطلوب، الهدف في تلك الرواية التي تنقل عن الحسين (ع) (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأَمَة)[٨] –بغض النظر عن سند الرواية لكن لها قرائن وشواهد كثيرة تؤيدها– المهم أن هذه القمة وهذا الهرم يتفتت، أن هذه الإمامة المترفة وهذا الاتجاه الدنيوي يجب أن يذل في نظر الناس وفي نفوسهم

فقط أذكركم أن من هذه الكوفة المتخاذلة التي كان الناس فيها يتسابقون إلى الدنيا وللدنيا التي تخلّى من فيها عن الحسين (ع) رغبةً في اتجاه إمامة المترفين، من هذه الكوفة بعد مدة قصيرة ينهض آلاف من الناس فقط ليموتوا، التوابون ثاروا ليموتوا، إذن تلك الإمامة المتجسدة في ذلك الحين في يزيد وعبيد الله وعمر بن سعد وعمرو بن الحجاج وقيس بن الأشعث وأمثال هؤلاء، ذَلّت وصغرت في عين الناس، كيف؟

---

[٨] تاريخ الطبري (٥/٣٩٤)

ينقلون أن عمر بن سعد حينما كتب إلى عبيد الله بن زياد أن الرجل يُريد أن يرجع أو يذهب إلى أي ثغرٍ من الثغور ولا يريد أن يأتي إلى الكوفة مادام الناس لا يريدونه فهو لا يريد الخلافة، فكتب في جوابه هذه العبارة التي يذكرونها، كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه، وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني به رسلهم فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم، فلما قرأ الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

قال: وكتب إلى عمر بن سعد: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأيْنا رأيَنا والسلام)[9]، فعبيد الله بن زياد رأى في هذا فرصة ذهبية للتنكيل بكل أعداء تلك الإمامة المتجسدة بيزيد ليجعل من الحسين (ع) عِبرة فلا أحد بعد ذلك يجرؤ أن يفكر في خلافهم –هذا شيء طبيعي، أنت إذا تُفكر بشكلٍ حر تجد هذا واضحا–، فرصة لا تتوفر أبدا الآن إذا نشبت مخالبنا به سوف يرجو النجاة، وعلى أساسٍ من هذه الخطة مشى، الطريقة الجاهلية في التعامل مع الأعداء هكذا كانت، وكان الوضع قد تغير وارتد إلى الوضع الجاهلي وأصبحت المقاييس جاهلية

من هنا بدأت خطة عبيد الله بن زياد وأعماله فأصبحت هي الشارع والجادة والطريق المعبد لحركة الحسين (ع)، لم يفعل الإمام الحسين (ع) أي شيءٍ إلا أن سلك وفق هذه الخطة، فالخطة ارتدت ضد هؤلاء، استدرجهم الله من حيث لا يعلمون، هذه سنة الله دائماً في الخلق، الإنسان بحاجة إلى أن يكون بصيرا وألا يستعجل (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)[10]، (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا)[11]، من جانب آخر وعلى أساسٍ من هذه الخطة عبيد الله بن زياد جنّد جيشاً هائلا، المعروف أن الإمام الحسين (ع) كان معه اثنان وسبعون شخصا أو مئة وعشرون شخصا في مقابل ذلك الجيش الكبير، يُنقل عن شخص

---

[9] تاريخ الطبري (٥/٤١١)

[10] (الأنبياء: ٣٧)

[11] (الطارق: ١٥-١٧)

أنه أتى إلى الإمام (ع) وأخبره أن هؤلاء الموجودين مع الحر يكفون لقتلنا فكيف بمن كانوا في الكوفة، والله وجدتُ خارج الكوفة جيشاً لم ترَ مثلهُ عيني[١٢]، كلهم يريدون أن يخرجوا عليك هذا ماذا يعني؟

كان عبيد الله بن زياد يريد أن يُجنِّد أكبر عدد من الناس ليُبصِروا هذه العملية –الرائعة بنظره– التي سوف يقوم بها لكي يرى هؤلاء كلهم هذه القضية فبعدئذٍ هل من الممكن أن يفكر أحدٌ بعد الحسين (ع) في خلاف يزيد وفي خلاف ذلك الهرم بكل عناصره؟ هؤلاء الدهاة الأذكياء المحنكون هؤلاء كانوا يقولون للإمام (ع) تُقتل! فإذا قُتلت تذل العرب أو إذا قُتلت تذل قريش! إذا قُتلت فهؤلاء سوف لا يبالون بعدئذٍ أن يَقتُلوا أي أحد، كان هذا صحيحا فعبيد الله كان يعرف هذا الشيء فجنّد هؤلاء كلهم، بالإضافة إلى ذلك لابد أن يشترك هؤلاء في مقتله حتى يتورطوا كلهم في هذه المسألة، فمن يعمل عملا بعدئذٍ يبرره ويدافع عن عمله، وآلاف من العيون يجب أن تراقب

عبيد الله بن زياد كان يريد أن يقول أيها الناس اعلموا أني أستطيع أن أُجنّد هذا الجند الهائل –رغم أن أقل من ذلك بكثير كان يكفيه– ضد أي شخص حتى إذا كان هذا الشخص هو الحسين (ع)، أنا ذلك الإنسان الجبار المقتدر الذي أي شيءٍ إذا أريد أن أفعله لفعلته، كذلك ينقل عن أبي مخنف في الطبري (قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه –عمر بن سعد كأي مترفٍ يعيش في مجتمع ديني يحاول أن يجمع بين الأمور بين الدنيا والآخرة كان يحاول أن لا يُبتلى بمقتل الحسين (ع) فيؤخره لعله يستطيع– ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعا، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلما، وإن أَبَوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتُمثّل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاقٌ، قاطع ظلوم، وليس دهري أن هذا يضر بعد الموت شيئا، ولكن علي قول قد قلته: لو قتلته لفعلت هذا به...)[١٣]، هكذا كانت الخطة يجب أن يُقتل الحسين (ع) في مكان يجب أن تتوفر فيه كل ما يُتصور من عناصر الظلم، بعيدا عن الماء بعيدا عن أي مأوى بعيدا عن أي شيء، هذه هي خطة عبيد الله بن زياد أقصى أنواع الظلم يجب أن يتعرض له الحسين (ع)، لا فقط الحسين (ع) بل أي إنسان يجب أن يعرف قدرتنا ثم ينقل ذلك لغيره، هكذا هم،

---

[١٢] تاريخ الطبري (٥/٤٠٤)

[١٣] تاريخ الطبري (٥/٤١٥)

منطق القوة ومنطق الجبروت، وكانوا مهيّئين مبرراتهم لِمَ يُقتل الحسين (ع) لأنه خرج على إمام زمانه ويريد أن يَشُق هذا الوضع المستقر وهذا الهرم الثابت، عصى هذه الأمة يريد أن يشقها، كذلك هو له تاريخ فهو ابن علي (ع) ويدّعون أنه (ع) قَتل عثمان مظلوما عطشانا لذلك هو يستحق أن يُقتل، كل هذه الأشياء كانوا قد هيّأوها وأشياء أخرى، في الصحراء هذا الجيش كله يطوّق الحسين (ع) وأصحابه، من هنالك يبدأ مكر الله وكيد الله، فكل هذا المخطط ثم بعدئذٍ –الإنسان البصير يفهم– كأن هنالك يداً إلهية تجعل عبيد الله بن زياد يخطط ليدمر نفسه وليدمر يزيد وليدمر وليذل تلك الإمامة، سلّط الله عليهم مَن جعل تلك الإمامة أذل من فِرام الأَمَة

هنالك أربعة أشياء رئيسية وُجدت هنا، النقطة الأولى: أن الإمام الحسين (ع) حينما طُوِّق كان يُعلِن أنه قد خُذل وحينما قُتل مسلم بن عقيل وحينما قُتل عبد الله بن يقطر، أيها الناس اعلموا أن شيعتنا خذلتنا، كان يعلن ذلك حتى يتفرق الناس، فمن بقي معه؟ فقط أناس مخلصون أقوياء بصراء أمثال حبيب التحقوا بالحسين (ع) من الكوفة، وكان يدعو أمثال زهير بن القين، هؤلاء الذين يملكون أنفسهم ويعرفون، اقرأ مواقفهم وخطبهم وكلماتهم التي تذكر، رغم أن هذه الأشياء كثيراً ما تعرضت للتشويه من قِبل أعداء أهل البيت (ع) ومن قِبل الغفلة من أحبائهم جهلا، على الرغم من ذلك تجد تلك المواقف القوية، مثلا ينقل عن زهير أنه قال لهؤلاء (إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة)[١٤]، هذه الرؤية الرائعة بامتدادات الدين، هؤلاء قلة، كانوا يرونهم قلة منضبطين تحت السيطرة فكانوا مرتاحين مستأنسين أن هذه القلة مطوقة تحت السيطرة وتحت القبضة، الله تعالى يريد هذه القلّة حتى تكون منضبطة لتجسّد الدين في كل أحاديثها ومواقفها بكل جلاء ووضوح، هذه الأشياء التي فعلها الإمام الحسين (ع) كذلك فعلها أمير المؤمنين (ع) قبله وفعلها رسول الله (ص) قبلهما، لكن هذه الأشياء لماذا لم تُنقل عنهم (ع)؟ لأن الأرضية التي توفرت للحسين (ع) في هذه الفترة لم تتوفر قبل ذلك لأن تَبرز هذه الأشياء وتُنقل، منها أن أصحاب الإمام الحسين (ع) كانوا قلة وكانوا بصراء، فأي إنسان كان يراقبهم ينظر إليهم يجد الدين متجليا فيهم، ولو كانوا كثيرين قطعا كان الأمر يتشوه

---

[١٤] البداية والنهاية (٨/١٩٤)

كثيرون من الناس لا يستطيعون أن يميزوا بين القريبين من الإمام والبعيدين عنه، فيُحمل فعل أي منهم على الآخرين، هذه طبيعة الناس، هؤلاء حينما كانوا يرَون وينظرون إلى زهير كانوا يرون فيه الدين مجسّدا، وحينما كانوا ينظرون إلى مسلم بن عوسجة كانوا يرونه كزهير وحينما كانوا ينظرون إلى برير كذلك، هؤلاء كانوا خير الرجال، كانوا يجسدون الدين في كل كلمة وكل موقف وكل حركة، الإمام الحسين (ع) لم يكن وحده، هؤلاء قلة منضبطة على بصيرة واعية، يستحقون أن يقال لهم يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما

النقطة الثانية: هي أن الفترة قصيرة، هؤلاء خططوا لأن يقضوا على الحسين (ع) بسرعة لكن في نفس الوقت يجب أن يبقى هنالك مجال حتى يُفهم ويتجلى –حسب مقاييسهم– إذلال الإمام الحسين (ع)، كانوا يتصورون بأن هذا إذلالا له (ع) لكن يجب أن لا يطول كثيرا، لو كانت هذه القضية تحصل في يوم أو يومين فلن تظهر هذه المسألة بهذه العظمة وبهذا الجلاء الذي نحن وجدناه بعد البحث والتفكير، فلو كان الزمان يطول كثيرا –نفترض شهرا أو شهرين– فالمسائل بالتدريج كانت تصبح عادية أكثر، بل كانت فترة قصيرة مُلَخّصة ومُركَّزة، المكان في صحراء حيث هم مكشوفون في كل حركة، كانوا يأتون فيتجولون خصوصا في ليلة عاشوراء حينما أصبحت خيام الحسين (ع) مشهدا طبيعيا غير مُتصنّع، مشهدا إلهيا، كل شيء في هذه الخيام مراقب وكل كلمة تُتَلقّى، بكاء أولاد الحسين (ع) بكاء نساء الحسين (ع) بكاء أصحاب الإمام الحسين (ع)، هذه الأشياء كانوا يستأنسون بها ويرتاحون إليها فيرون هذا إذلالا ومهانة، هذا سوف يعظم تلك القمة وتلك الإمامة في النفوس فتُكبرها وتُعظمها هكذا كانوا يفكرون، العيون تراقب هذه الأشياء، المكان، من أنزلهم في ذلك المكان؟ (فدفع إِلَى الحر كتابا من عُبَيْد الله بن زياد فإذا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عَلَيْك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء فِي غير حصن وعلى غير ماء)[١٥]

بالإضافة إلى ذلك توجد المقارنة، في صفين –حيث طالت الحرب لأشهر– كل حركة وكل كلام وكل موقف لأمير المؤمنين (ع) كان يجسد الإسلام وكان يجسد دين رسول الله (ص) ودين الله تبارك وتعالى، لكن هنالك بعض الأشياء برزت يرُكز عليها كثيرا، الناس كثير تأثروا، منها أن أصحاب معاوية أتوا فاستولوا على ماء الفرات ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين (ع) ثم حينما استولى أصحاب أمير المؤمنين (ع) على الماء لم يمنعوا الآخرين، الإنسان يقارن، لولا يوجد ليل لا يُعرف النهار ولولا يوجد شر لا يعرف الخير، هذه حقيقة دائمة

---

[١٥] تاريخ الطبري (٥/٤٠٨)

لابد أن يعرفها الإنسان، لو الإنسان لا يعرف الفساد لما عرف الحق، وعلى أساس من هذه الحقيقة ربما تلك الرواية (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه..)[١٦]، لا تعرفون من تمسّك بالقرآن حتى تعرفوا من حرّف القرآن وتخلى عنه، لا تعرفون النور حتى تعرفوا الظلام، الإنسان الذي يتدبر ويقارن بين هذا وذاك سيجده، هنا قارن وتدبر بين هؤلاء وبين الإمام الحسين (ع)، بين عمل هؤلاء وعمله (ع)، أنت تستطيع الآن أن تقارن فيتجلى الدين بكل وضوح في نفسك

أحذرك بشدة لتنتبه أن لا يتشوه دين الإمام الحسين (ع) كما فعل أعداؤه –أنا في وقت آخر سوف أتحدث عن الأعمال التي قاموا بها لأنهم اكتشفوا أن خطتهم فشلت بعدئذٍ–، ماذا فعل أعداء الحسين (ع)؟ تلك الأفعال غزتنا ونحن تأثرنا بها ونكررها غفلة وجهلا، قارن بين هذا وذاك، ليست المسألة هذا الذي يقال أن هؤلاء كانوا يشربون الخمور، حتى لو لَم يكونوا يفعلون هذا، في روايةٍ عن الإمام علي بن الحسين (ع) (ولا يوم كيوم الحسين (عليه السلام) ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه)[١٧]، يُنقل عن عمر بن سعد أنه كان يقول (يا خيل الله اركبي وأبشري)[١٨]، هكذا كانوا، المسألة ليست هي مسألة شرب الخمر أو نساء ماجنات، هؤلاء كانوا يصّلون، إذا الإنسان يريد أن يبحث ويقارن في أمور بعيدة عنه وغير مرتبطة به لا يستطيع أن يفهم الحق

في عهد أمير المؤمنين (ع) في حرب صفين: (...إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سراً؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا، بل علانية. قال: فانطق. قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد ألاّ إله إلا الله وأن محمد رسول الله ونادى للصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحد، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبتُّ بليلة لا يعلمها إلا الله حتى

---

[١٦] نهج البلاغة (الخطبة: ١٤٧)

[١٧] أمالي الصدوق (٥٤٧)

[١٨] تاريخ الطبري (٤١٦/٥)

أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه، فجئتك لذلك. قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرّهن، بل هي شرّهن وأفجرهن، أشهدت بدراً وأحداً وحنيناً أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله (ص) يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته، والله لدماؤهم جميعاً أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراماً؟ قال: بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أتراني بيّنت لك؟ قال: قد بيّنت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت فانصرف الرجل. فدعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق ما يقذي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل...)[19]، ما الذي كان يراه عمار في هؤلاء ولم يكن يراه غيره؟ هذا يحتاج إلى أن الإنسان يفهم ويعرف ويقارن، بِمَ يقارن؟ فهؤلاء كانوا يصلون! فالمقارنة تكون بالإسلام كشيء مترابط وكشجرة في مقابل تلك الشجرة، المقارنة كذلك كانت

أنا طولت، هذه هي ليلة الجمعة وهي الجمعة الأخيرة من عشرة الحسين (ع) فحاولت أن أُعرِفك على الحسين (ع) الذي هو الدين كله وهو الجنة كلها وهو الشريعة كلها وهو القرآن المجسَّد، حاولت وأنت إن شاء الله تفكر والله يوفقنا لأن نرتبط به ونقترب منه بعد أن نعرفه بطبيعة الحال، السلام على الحسين السلام على أهل بيت الحسين السلام على أصحاب الحسين السلام على تلك الأرواح الطاهرة الزكية التي أناخت برحل الحسين (ع)، السلام على هؤلاء المتسابقون إلى الموت لأجل الحسين لأجل دين الحسين لأجل جد الحسين لأجل قرآن الحسين، لأجل رب الحسين، السلام عليهم يوم قتلوا ويوم يبعثون أحياء ويدخلون الجنة ويا ليتنا كنا معهم، والحمد لله رب العالمين

---

[19] وقعة صفين (٣٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

السلام على الحسين الشهيد الغريب قتيل العبرة وأسير الكربة السلام عليه وعلى أصحابه خير الأصحاب الأقوياء المؤمنون العالمون الصامدون، فيا ليتني كنت معهم ويا ليت كانت لي قوتهم وإيمانهم وصلابتهم ورؤيتهم وعلمهم ثم درجتهم بالجنة

أريد أن أتحدث الليلة[1] بمناسبة ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين (ع) عن محكمات مسيرته، سوف أوضح ماذا أقصد بهذا الكلام

الإمام الحسين (ع) آية، الآية حسب التعبير القرآني تعني العلامة والمؤشر، ليس من الضروري أن نجد آية في القرآن الكريم أو رواية تقول أن الإمام الحسين (ع) كان آية، تكفي الآيات الكثيرة التي تتحدث بصورة يُفهم منها أن كل شيء في السماوات والأرض آية وتوجد روايات تدل على أن الحسين (ع) والأئمة (ع) كانوا آيات

التعامل مع الآية نوعان، كسوف الشمس –مثلا– آية وعلامة، الآيات بطبيعة الحال درجات بعضها ملفت للنظر، يأتي زلزال فيلفت نظر الإنسان إليه، يحصل كسوف فالكل ينتبه، الشمس تشرق من المشرق يومياً وتغرب في المغرب لا ينتبه كثيرون إلى هذه الحركة، الرياح آية لكن لا أحد ينتبه، المياه آية وأمثال ذلك، التعامل مع الكسوف كآية نوعان: شخص يأتي فيركز على ظاهرة الكسوف، يقيس الكسوف ويدرسه لنتائج وأهداف محددة، القرآن الكريم يشير إلى هذا النمط من التعامل مع الآيات في الآية الكريمة (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)[2]، الطعام آية –مؤشر وعلامة– شخص يأتي فيرى فيه لذة يأكله، الشتاء والصيف آيتان إنسان يأتي فيرى في الشتاء برودة ويرى في الصيف حرارة فيتعامل معهما من هذه الزاوية فقط كما يتعامل مع الكسوف كذلك من هذه الزاوية وفق الذهنية الكافرة التي لا تؤمن

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٧ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) (الفرقان: ٧٣)

بالله ولا تؤمن بالآخرة، تلك الذهنية التي على أساسها كل شيء يجب أن يُعطي الأثر في هذه الدنيا فقط، هذا نمط من التعامل مع الآيات

نمط آخر من التعامل مع الآيات أن الإنسان حينما يرى آية أو يسمع آية يفكر فيها ويتدبرها، آيات القرآن تُسمَع فيُفكر فيها، إلى ماذا تؤشر هذه الآية؟ الكسوف ماذا يعني؟ هل يدل على قبضة قادرة عالمة بصيرة تسيِّر الكون أو لا؟ فيفكر، يفكر فيَصل إلى هذه النتيجة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ)[3] هذا ليس لاغيا خلَقَه موجود حكيم بخطة وحكمة، ثم يجسد هذه الحقيقة التي وصل إليها واستنتجها فيجسدها بالسجود لله تعالى، لا يسجد للشمس عند كسوف الشمس لا يسجد للقمر الذي حال بين الشمس وبين الأرض لا يسجد لهذه الظواهر بل يتعامل معها كمؤشرات وكعلامات، لا يكب على الآيات لا يرى في كسوف الشمس أنه كظاهرة ماذا تُنتج في هذه الدنيا، لا يُكب عليها (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) بحيث فقط هذا الأمر يراه فلا يستطيع أن يعرفه معرفة صحيحة ولا يبصر جوانبه

الإمام الحسين (ع) كذلك آية، تارة الإنسان يتعامل معه بالطريقة المنتشرة بأن يُذّكر بالحسين (ع) في مجلس ضمن مواصفات معينة وفي وقت معيّن وفي مكان معين فيتأثر ويَبكي، يسعى أن يحضر مجلسا ولكن يتعامل معه تعاملا تجزيئيا، يتعامل بحدود من دون أن يفكر في روابط وجذور وأهداف الحسين (ع)، لا يتعامل مع الإمام الحسين (ع) كمؤشر ومَعلم في الطريق إنما يتعامل معه (ع) كشيء جامد يُبكى عليه، في ذكرى شهادته يصغي المرء إلى أناس عملهم التحدث عنه وعمل أناس آخرين هو الاستماع! هذا نوع من التعامل (أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)[4] سواء كانوا حسب الظاهر مؤمنين أو غير مؤمنين، (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا وَهُمْ عَنهَا مُعْرِضُونَ . وَمَا يؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)[5]، بهذه الذهنية يتعاملون مع الأشياء حتى مع معالم الدين

الإمام الحسين (ع) آية، أتحدث معك على أساس أصول موضوعية أتصور وجودها فيك، أرى أنك ترغب في أن تعرفه (ع) هكذا أفترض، وأفترض كذلك أن هذه الرغبة مرتبطة بدينك وناتجة عن دينك تريد

---

[3] (آل عمران: ١٩١)

[4] (العنكبوت: ٦٣)

[5] (يوسف: ١٠٥-١٠٦)

أن تكون متدينا وترى أن التدين لا يمكن إلا بأن تعرف معالم الدين، ومن المعالم البارزة لهذا الدين الحسين (ع) ولأجل ذلك تريد أن تعرفه (ع) وتريد أن تعرف دينك، هذا أفترضه وإلا الحديث كله يصبح لاغياً لا ينتج أي شيء، أنت إذن ترغب في أن تعرف دينك لتكون متدينا، الإمام الحسين (ع) آية ملفتة للنظر، الأئمة (ع) كلهم آيات لكن الإمام الحسين (ع) من بين آيات الله ومؤشرات الله وعلامات الله مؤشر ملفت للنظر ككسوف الشمس بل أعلى وأعظم منه، المفروض أن التعامل معه لا يكون بتلك الطريقة أن الإنسان يخر عليه ويتمسك به فقط كالأصم والأعمى، فقط يرى الحسين (ع) ولا يرى غيره! لا يفكر في غيره يبكي عليه فقط يذكره هو فقط في أوقات معينة! هذا أولا

في مسيرة الإمام الحسين (ع) استطاع باستشهاده أن يجعلك تبحث عن مسيرته، لا فقط تكتفي بأن يُقرأ عليك أو يُطرح عليك فقط بل سعيت وبحثت وقرأت لتطّلع ماذا كان؟ ماذا جرى للحسين (ع)؟ هكذا أفترض لا أنك فقط استمعت إلى ما قيل لك، في مسيرته (ع) توجد أشياء كثيرة الإنسان إذا لا يفكر ويتعامل مع كل ما يقال أن هذا أصل ولا يفكر في أنه ما هو الصحيح ما هو الصواب، هذا يبكيه وذاك يبكيه أما إذا يريد أن يتدبر ويتعقل فآيات الله لا يمكن أن تُعرف إلا بالتدبر والتعقل[٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٧]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[٨] يتدبّر ويتعقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يستمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يستمع وهو مسيطر على نفسه، لا أنه يسمع فقط ويُغذَّى بل هو يملك نفسه ويعرف دربه، له مقاييسه، يتلقى ويقيس هذه الأشياء على أساس من تلك المقاييس التي أخذها من محكمات مسيرة الإمام الحسين (ع)، لا تفكر بأن أي شيء كُتب عنه (ع) فهو صحيح وأن أي شيء يُقال عنه (ع) فهو صحيح، أشياء كثيرة شُوِّهت خصوصا عن مسيرة الحسين (ع) باعتبارها قضية عاطفية، فالعاطفة تجعل الإنسان ينفلت –إلا المعصوم فقط–، هنالك بعض كبار الشخصيات يُرى أنهم تأثروا بعواطفهم فنقلوا –غفلةً– أشياء غير صحيحة، هنالك أشياء صحيحة لكن هذه الأشياء الصحيحة الإنسان حينما يفكر يتعقّلها يجب أن تنتظم عنده، بعضها يرتبط بالبعض الآخر، إذا شخص لا يفكر ولا يتعقل لا يحصل على معرفة

---

[٦] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن** (قرآن)، فصل (**التدبر**)

[٧] (النحل: ١٢)

[٨] (ق: ٣٧)

أما الشخص الذي يفكر فهنالك بالتدريج يظهر له أن هنالك في مسيرة الحسين (ع) توجد قضايا محكمة هي أسس وهي أصول وهي الشرائع، يجد أن الحسين (ع) في هذه المحكمات يلتقي بأبيه أمير المؤمنين (ع) فكأنه هُوْ يلتقي بجده رسول الله (ص) وكأنه هُوْ[٩]، فهو بهذه المحكمات الإنسان بشكل واضح يجد ارتباطه بالأنبياء –لا مجرد كلام يُقال– فيصبح وارث الأنبياء جميع الأنبياء، يجد أنه هو يجسد القرآن الكريم، يجب أن تعرف ذلك المحكم، محكمات مسيرة الحسين (ع)، أصول هذه الشجرة ما هي؟ يجب أن تبحث عنها، هذا الوجوب قلت لا يمكن فرض الدين على أحد (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[١٠]، الإسلام لا يشرع هذا النوع من الفرض، (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ)[١١]، (إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)[١٢] من لا يريد أن يسمع من لا يريد أن يفهم لم يخلق الله أي شيء يجبره على الفهم ويجعله يفهم! يبقى هو عشر سنوات عشرين سنة ثلاثين سنة أربعين سنة لا يتغير لأنه ما أراد أن يفهم وما أراد أن يفكر، الحر بن يزيد حاول أن يفهم فَكّر وأعمل عقله وفِكره، كثيرون من الناس ما فكّروا فما تدينوا فما آمنوا وبقوا كما هم! يذهب إلى المسجد بالذهنية التي كان يعيش فيها في حياته، يأكل بتلك الذهنية، يذهب إلى المسجد كذلك بنفس الذهنية وهكذا، هذا النمط من الناس لا ينتبهون ولا يتغيرون

من الأشياء البارزة التي تجدها في حياة الإمام الحسين (ع) أنه رحّب بالموت وأنه رفض الحياة وأدار ظهره للحياة الدنيا، هذه قضية محكمة، تجد أن أمير المؤمنين (ع) كان يرغب في الموت وكان يتعامل مع الموت، ما كان يهاب الموت وما كان يكره الموت بل كان يرحب بالموت، ورسول الله (ص) حينما مرض –عمره (ص) لم يتجاوز ثلاثاً وستين سنة– ما طلب من الله عز وجل أن يطيل عمره وكذلك أصحاب الرسول (ص) بل كانوا يتنافسون إلى الموت (فَمِنهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تبْدِيلاً)[١٣] مثلا عمرو بن الجموح كان أعرج وحينما قال له أبناؤه لا تخرج الله وضع عنك الجهاد لا تخرج نحن نكفيك،

---

[٩] بيّن السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**إمام واحد وهم عديدون**)

[١٠] (البقرة: ٢٥٦)

[١١] (الزخرف: ٤٠)

[١٢] (النمل: ٨٠)

[١٣] (الأحزاب: ٢٣)

قال فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقُتل في غزوة أحد[١٤]، وكذلك عبد الله بن حرام الأنصاري (أبو جابر) ينقل عن جابر أنه قال والله تنافست مع أبي، أبي قال لي إما أنت تخرج أو أنا أخرج يجب أن يبقى أحدنا لهذه النسوة فقال أبوه والله لا أؤثرك على نفسي أنا أخرج، فخرج وقتل وحينما رسول الله (ص) منع بعد غزوة أحد أن يخرج لغزوة حمراء الأسد إلا من اشترك في أُحد وجُرح فجابر قال يا رسول الله ائذن لي أردت أن أخرج فمنعني أبي[١٥]، لم يكن فقط عبد الله وجابر وأمثال هؤلاء هكذا بل كان أكثرهم يتسابقون إلى الموت، أصحاب أمير المؤمنين (ع) وأصحاب الحسين (ع) كانوا كذلك، هذه الظاهرة ماذا تعني؟

في المقابل كانت هنالك ظاهرة محكمة من محكمات المذهب الآخر أن الموت يجب أن يُطرد ويُرفض وأن الحياة لذيذة وأن الحياة لا يساويها شيء، راحة الحياة ملذات الحياة وبهذا المنطق استطاع يزيد أن يحكم وبهذا المنطق استطاع عبيد الله بن زياد أن يذيب ذلك الجمع الحاشد الذين احتشدوا حول مسلم بن عقيل، جَمَع الأشراف وقال قولوا للناس من يطيعنا نعطيه مالا ونكرمه، يعني نهيئ له الحياة ونمد في عمره، ومن لا يطيعنا ويخرج مع مسلم بن عقيل نأخذ منه الراحة فنعذبه ونقتله، وقد أثّر هذا المنطق فأخذوا يتفرقون[١٦]

سمِعت وقرأت أن الإمام الحسين (ع) كان يعاني من هذا المنطق، كل من يلتقي به حتى الأشخاص الذين يفترض فيهم أن يكونوا واعين وعالمين ويقرأون القرآن كثيرا ويفسرون، عبد الله بن عباس مفسر القرآن يُسمونه حبر الأمة يقول (إني أتصبر وَلا أصبر، إني أتخوف عَلَيْك فِي هَذَا الوجه الهلاك والاستئصال)[١٧] تُقتل تُقتل! موْت موْت! فالحسين (ع) يسكت ماذا يقول لهؤلاء، الأنبياء (ع) كذلك واجهوا نفس المنطق، نفسية فرعون في التاريخ ممتدة، مذهبان ممتدان دعوتان ممتدتان دينان ممتدان في طول التاريخ وتستمران إلى أن يرث الأرض أهلها (وَلَقَدْ كَتَبنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[١٨]، من هؤلاء نقرأ في سورة الشعراء قصة السحرة وفرعون (قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ . فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَأُلْقِيَ

---

[١٤] سيرة ابن هشام (٦٠٧/٣)

[١٥] سيرة ابن هشام (٦١٥/٣)

[١٦] الكامل في التاريخ (٣٩٣/٣)

[١٧] تاريخ الطبري (٣٨٣/٥)

[١٨] (الأنبياء: ١٠٥)

السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)[١٩]، عذاب في هذه الدنيا، إزالة الراحة بلاء، ومن جانب آخر وراؤه موت وقتل، قالوا (لا ضَيْرَ) انتهى ذلك المنطق التافه الذي كنا نقول (بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ)، كنا نتصور أن فرعون هو الإمام ويجب أن يتّجه كل وجود الإنسان إلى هذا الاتجاه، ذَل فرعون وذَل دينه وذلت إمامته، انكسر كل شيء كان يجعل لفرعون عزاً في النفوس (قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ)[٢٠]، لاحظت هذا التغير؟ منطق فرعون ومنطق المؤمنين، كانوا يهددون رسول الله (ص) وأصحاب رسول الله (ص) بالموت وفعلوا، أخذُ الدنيا منهم منطق قديم (أَلَمْ ترَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)[٢١] قال ماذا؟ (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)، هذا منطق

فكر في هذه المسألة بجد، الأطباء هؤلاء هم الذين يحيون ويميتون الآن! يقولون أنا أستطيع أن أميت وأحيي أستطيع أن آخذ مقومات استمرار الحياة منكم فتموتون، وأستطيع أن أمدكم بمقومات استمرار الحياة فتحيون، هذا منطق في مقابل هذا المنطق: أن الله هو المحيي والمميت، في نظرك أي من المنطقين هو الذي يؤثر على الناس في الواقع الخارجي؟ حتى بين المتدينين الطبيب هو الذي يحيي أم الله هو الذي يحيي؟! الموت قُدِّر أم أن فلاناً مات بسبب معين؟ هذان منطقان، (أَلَمْ ترَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)، لِمَ القرآن الكريم يذكر هذا الكلام؟ فظاهر هذا المقطع يعني أن إبراهيم (ع) غُلب أليس كذلك؟ لذلك ماذا قال؟ (قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، هنا غَلب ولم يُبهت صحيح؟ لِمَ القرآن ينقل هذا؟ حتى ينبهني وينبهك أن هذين المنطقين موجودان وبنظر الناس المنطق الثاني هو الذي يَغلب وينتصر ويفوز

---

[١٩] (الشعراء: ٤٣-٤٩)

[٢٠] (الشعراء: ٥٠)

[٢١] (البقرة: ٢٥٨)

الناس –حتى بعض المتدينين– يتعاملون مع الطب كمحيي، فيتعاملون أن القدرة لذلك الإنسان الكافر الذي يقول أساساً أن هذا العلاج هو الذي يحيي! والحياة لها أغلى القيم فلهذا الإنسان الذي يصنع جهازاً لإمداد الحياة ولاستمرار الحياة، هذا الذي يكتشف علاجاً للسرطان، هذا الذي يستطيع أن يصنع قلباً صناعياً ويضعه في صدر الإنسان، هذا يُتعامل معه أنه أعظم إنسان وأكبر إنسان! يُتعامل معه أنه المحيي أليس كذلك؟ أنت ماذا تفكر؟ هذا المحيي! راجع نفسك هل تفكر هكذا وتتعامل معه كمحيي؟ وباعتبار أن الحياة هي أعظم شيء فهذا يصبح أعظم إنسان في الحياة، تقدسه وتتمنى يا ليتك كنت مثله، إذا كان هنالك جهاز يستطيع أن يقيس كل مشاعر قلبك –بعض الأحيان مشاعر الإنسان تخفى عن نفسه– فيَتبين أنك أنت تقول يا ليت لي أولاد فأُربيهم ليكونوا مثل هؤلاء، لأن هذا يُتعامل معه أنه هو الرب وهو الإله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بمن تستعين؟ أليس الواقع هكذا؟ حتى الإنسان إذا كان متدينا فهذا المنطق تجده في الواقع الخارجي أن هذا شيء جيد، الإنسان يقرأ في القرآن الكريم أن الله هو المحيي والمميت لكن في الواقع الخارجي وفي التعامل الخارجي لا! تجد في تعاملهم أن غير الله عز وجل هو المحيي والمميت!

فالقرآن يذكرني ويذكرك أنت أن انتبه، يذكرنا أن هذا المنطق هو المنطق الرائج وإبراهيم (ع) بينه وبين نفسه لم يُغلب، يعتقد، لكن أمام الناس المسألة هي مسألة كشف زيف ذلك الإنسان الطاغي الذي كان يصنع لنفسه إمامة والمفروض أن تنكسر إمامته في أذهان الناس حتى يتحرروا، إذن يزيد يقول أنا أحيي وأميت عبيد الله بن زياد يقول أنا أحيي وأميت تفهم الآن؟ هذا المنطق مستمر، من أين ينتج هذا المنطق؟ إذا كانت الحياة لها قيمة غالية وكانت أغلى القيم، قيمة مستقلة بذاتها، أي شخص يستطيع أن يوفر لك الحياة يُتعامل معه أنه هو المعطي وليس الله تعالى! هذا الواقع

يُنقل عن شخص له تاريخ وموقع أن معاوية كان يعطيه مليون درهم ثم بعدها أعطاه يزيد مليونين، فقال ليزيد: بأبي أنت وأمي، فزاده مليون آخر، فقال ليزيد: ما قلته لأحد ولا أقوله لأحد[٢٢]، حتى إذا لا يقول هذا فهو بالنسبة له (بأبي) هو واقعا، لأن يزيداً –بنظره– هو الذي يحيي ويميت وهو المعطي والمانع

هذه هي الحياة، كان يُنظر إلى فرعون أنه هو الذي يحيي ويميت، هو يجب أن يأذن لك، وفعلاً هو استطاع أن يقتل أم لا؟ من يفكر بأن هذا كان مقدّرا من الله تعالى وأنه عز وجل هو الذي يحيي ويميت؟

---

[٢٢] البداية والنهاية (٢٥٢/٨)

التعامل الآن في العالم من هو الذي يحيي ويميت؟ في التعامل الخارجي يُقال أن الحياة بيد الله وهو تعالى الذي يحيي ويميت، لكن في الواقع يُنظر للطب أنه هو الذي يحيي ويميت، فقط الفرق أن الناس المتدينين يقولون أن الطبيب يجب أن يكون من عندنا يصلي ويصوم ولا يشرب الخمر، فليكن المحيي من عندنا، طبيبنا نحن، نحن يجب أن نوفر وسائل الراحة للناس، في حياة أمير المؤمنين (ع) –حسب منطق الناس وحسب مشاعر الناس– هكذا كان التعامل، كثيرا ما نحن لا نفكر، لو نفكر ماذا نرى؟ تجد بأن أمير المؤمنين (ع) لو كان يُهيئ وسائل الحياة لكان الناس كلهم اجتمعوا حوله، فلماذا لم يفعل أمير المؤمنين (ع)؟ أنت فكّر

أَرجع إلى الإمام الحسين (ع) وإلى تعامله مع الموت، تلك القضية التي تذكر كثيراً ينقلها الطبري والإرشاد عن أبي مخنف (حينما ارتحل الحسين (ع) من قصر بني مقاتل في طريقه إلى كربلاء خفق برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، ثم كررها مرتين أو ثلاثة، –من السمات البارزة في مسيرة الإمام الحسين (ع) أنه كان كثيرا ما يقرأ القرآن، يقرأ القرآن كدين يقرأه ويتفاعل معه، القرآن بالنسبة له إمامٌ ونور، فإذا واجهته مصيبة قال إنا لله وإنا إليه راجعون فيطمئن، أنا في قبضة الله وبعين الله، الإنسان إذا يشعر أنه بعين الله –جرّب– ألا تهون عليه كل المسائل؟ جرب بشرط أن تستطيع أن تجعل نفسك بعين الله، إلهي هذا بعينك– **فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين (ع) وكان على فرس له فقال إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا له راجعون والحمد لله رب العالمين يا أبتِ جعلت فداك ممَّ استرجعت وحمدت الله** –ممَّ استرجعت حصل شيء جديد مثلا؟– **فقال الحسين (ع) يا بني إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس** –ظهر لي فارس– **على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم** –المنايا يعني الموت وما أرعب الموت، العالم يسعى أن يُبعد عنك الموت وبذلك يدّعي الألوهية ويؤلَّه، العالم الكافر من هذا المنطلق فقط أصبح إلها، أئمة الكفر هكذا يوحون إليك أنه أنا أُبعد عنك الموت، أحارب الموت –بدلا عنك– لأبعده عنك، وإذا لم أستطع أحاول أن أجعلك تموت لاهياً غافلاً لا تفهم أبداً أنك متى مُت ومتى تموت، أليس هذا هو المنطق الرائج والمرغوب عند هذه الإمامة؟ أريد أن أريح لك الحياة وبهذا يؤلَّه هذا الطريق ويُتخذ من أئمته آلهة– **فقال القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم** –هذا كثير يخيف يخيف، موْت موْت– **فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، فقال له: يا**

أبت لا أراك الله سوءا ألسنا على الحق؟ قال الحسين (ع): بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت إذن لا نبالي، نموت محقين)[٢٣] بهذه البساطة وبهذه السهولة: لا نبالي بالموت نموت محقين، تبهذل الموت واحتُقِر

احتُقِرَت الدنيا في نفوس هؤلاء فاتُحقِر الموت، لا فقط في نفس الإمام الحسين (ع) وحده أو في نفس علي بن الحسين (ع) وحده بل في نفوس هؤلاء الذين كانوا يتسابقون إلى الموت ويتسارعون إليه، الحياة لذيذة لكن الحياة تبهذلت في نظر هؤلاء، الحسين (ع) استطاع أن يكسر جبروت الحياة، وسيلة الكافر لمحاربة الله دائماً (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) استطاع (ع) أن يكسر هذا الجبروت في نفوس أصحابه فتحرروا وأصبحوا أئمة، الإنسان بصدق إذا تدبّر وتعقّل يرى أنهم يستحقون بهذا أن يقال لهم (فيا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيما)، عمر بن سعد، عبيد الله بن زياد، يزيد بن معاوية، فرعون، انكسروا في نفوسهم، التاريخ كله والمستقبل كله انكسر في نفوسهم، تُفكر أن الحسين (ع) حقّر الدنيا وحقّر الحياة في نظر هؤلاء بالخداع والمكر لأنه لا توجد أمامه الحياة؟ لو كان الإمام الحسين (ع) سيطر واستطاع أن يحكم هل كان يُزيّن الحياة أم يُحقِّرها؟ ماذا كان يفعل؟

هذه المحكمات تربط الأجزاء إذا ربطت الأشياء بعضها ببعض هنالك يتبين لك وتزول الأشياء المتناقضة، الأشياء تترابط وتجد مواضعها فتجد في ذهنك صورة تعطيك بصيرة ونورا وفهما وعلما، (ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل أن يزول)[٢٤] جرّب، هل فكرت ماذا كان يفعل الحسين (ع)؟ منطق أبيه أمير المؤمنين (ع) حيث استطاع أن يصنع ضمن مجموعة من أصحابه –أكثرهم قتلوا في حرب الجمل وفي حرب صفين– أمثال عبد الله بن بديل وأمثال هاشم المرقال وأمثال مالك الأشتر بعدئذٍ وأمثال عمار، وهؤلاء كثيرون، استطاع أن يحقر الحياة في نفوسهم لتتبلور الآخرة في أذهانهم وتشرق الآخرة في نفوسهم، آمنوا بالآخرة ويرغبون فيها[٢٥]: الآخرة الآخرة، نريد الآخرة

هل تفكر بأن الحياة من الممكن أن تُحتَقر من دون أن تُحتقر الوسائل التي تحيي وتميت حسب المنطق الكافر؟ مُحال فالأشياء مترابطة، الإنسان الذي لا يفكر لا يمكن أن تظهر الأشياء له بشكلها المترابط، فكّر،

---

[٢٣] تاريخ الطبري (٤٠٧/٥)

[٢٤] بحار الأنوار (١٠٥/٢) نقلا عن الغيبة للنعماني

[٢٥] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**معنى الإيمان بالآخرة**)

القرآن الكريم كم يركز على التفكر وعلى التعقل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[٢٦]، احتُقرت الدنيا في أذهانهم، علي الأكبر لا يرى للحياة قيمة، هل تفكر أن إنسانا يأتي فيقول لعلي الأكبر أنا أطّول في حياتك فينبهر ويرى له قيمة؟ على هذا الأساس الموت أصبح مرغوبا في نظرهم، هذا الموت الذي العالم الكافر كل هدفه أن يبعده عنك وبذلك ادعى الألوهية وسيطر على النفوس والأذهان، يجعلني أتكلم بمنطقه والعياذ بالله، يجعلني أشرح الدين بمنطق الحياة، حتى الإمام الحسين (ع) أفسّره وفق مقاييس الحياة أنه كان هكذا وهكذا يفعل

لِمَ أقبلوا على الموت؟ هل كان انتحارا؟ هل كانت عاطفة؟ شجاع أخذته العاطفة أراد أن يذُبّ عن حرم رسول الله (ص) فقط؟ ألم تسمع هذا؟ ألم تقرأ؟ هذا المنطق منطق دنيوي دائما، حتى وفق المقاييس الكافرة كذلك يوجد هنالك إقدام على الموت لكن وفق موازنات دنيوية ومعادلات دنيوية، يجب أن تنتهي الأمور كلها إلى الدنيا، الحياة الدنيا هي المبدأ وهي المعاد هي المرجع وإليها ترجع الأمور، حتى الدين يجب أن يفسَّر بطريقة تنتهي إلى هذه الحياة الدنيا، حتى أمير المؤمنين (ع) يتعامل معه وفق منطق الدنيا، أمير المؤمنين (ع) ما أمهلوه وإلا كان يصنع حياة مريحة يحيي ويميت، هكذا يطرح!

فكِّروا، هذه أيام قلائل وتنتهي، فإذا فكرت وتدبرت قطعاً تصل إلى محكمات مسيرة الحسين (ع)، فإذا وصلت إليها فعض عليها بالنواجذ هذا دينك، فتشعر بقوة كما هؤلاء كانوا يشعرون بقوة، الإنسان قد يبكي عليهم لكنه يتعامل معهم أنهم أناس كانوا في مكان آخر وفي زمان آخر لا ارتباط لهم بنا! أما إذا وجدت محكمات مسيرة الحسين (ع) وتفاعلت معها فيصبح الحسين (ع) ويتحول من إنسان يُبكى عليه فقط إلى نور وبصيرة وإمام ودين يملأ حياتك كلها، بعدئذٍ ذكراه في عاشوراء لا تنتهي فالحسين (ع) دائما أمامك، لا الحسين (ع) وحده بل إذا ترابطت المحكمات أمامك هناك أمير المؤمنين (ع) ورسول الله (ص) وقوافل الأنبياء (ع) كلهم والقرآن كذلك يتجلى أمامك فتشعر بقوة، منطق عبيد الله بن زياد وغير عبيد الله بن زياد يقول بأنه أعطيك وأحييك وأمد في حياتك فترفضه (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ

---

[٢٦] (آل عمران: ١٩٠-١٩١)

وَالأَرْضَ)[٢٧]، العالم يوحي إليك أنك إذا أدرت ظهرك لإله العالم تموت، تموت جوعا تموت مرضاً تموت أُميّةً تموت تخلفا أليس كذلك؟ لا ضير (قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ)، تستطيع كل ذلك بشرط أن تستطيع أن تفكر، ولا تستطيع أن تفكر إلا أن تتوفر شروط، هذا أنا تحدثت عنه

هنالك إمامة موجودة في العالم إمامة ممتدة في طول التاريخ، عبيد الله بن زياد هلك وانتهى، كذلك يزيد انتهى لكن هذه الإمامة موجودة ولها ممثلون في قرارة نفسك يوسوسون إليك بأفكارهم وبإيحاءاتهم، عن طريق زميلك عن طريق زوجتك عن طريق أولادك عن طريق أستاذك عن طريق الكتاب عن طريق هؤلاء الذين يتعاملون معك بانبهار، أنت طبيب أنت مهندس أنت لك مركز فتُعامل بانبهار

(قُلْ يَا أَيهَا الْكَافِرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَا تعْبُدُونَ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ . وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[٢٨]، هذه الرؤية تحصلها إذا استطعت في قرارة نفسك أن تعزل نفسك عن الإيحاءات الضالة، ففي قرارة نفسك إيحاءات الآخرين لا تسيّرك ولا توحي إليك بأنك أنت تفكر كما هم يفكرون وكما هم يريدون، حتى إذا أوحيَ لك –غفلة وجهلا– ولُقّنت بإيحاءات دين الكفر أن الحياة لذيذة ويجب أن تقاس الأشياء على أساس من هذا سوف ترفض، وهذا الرفض لا يكون متصنعا ولا يمكن أن يتصنع بل ينمو كشجرة، تفكر بأن علي بن الحسين (ع) في ذلك الحين حينما رأى أباه أو سمع منه فهكذا انقلب؟ أم كان له أصول ويعرف؟ هذا هو منطقه، إذن ترفض تلك الأشياء، وإذا أنت غير أنت أمة كما كان زهير يقول أنت أمة، أنت تختلف فأنت تعرف (بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نفْسِهِ بَصِيرَةٌ)[٢٩]، مقاييسك لا تخضع لآلهة العالم، في قرارة نفسك لا تخضع لأئمة العالم لأنك لم تؤمن بالحياة الدنيا بل تعاملت معها كمتاع وتعاملت معها أنها هي حقيرة والآخرة هي الحيوان

طولت عليكم، وفقكم الله تعالى لمراضيه وقربنا الله من الحسين (ع) وقربنا الحسين (ع) إلى الله تعالى، والحمد لله رب العالمين

---

[٢٧] (الأنعام: ٧٩)

[٢٨] (الكافرون: ١–٦)

[٢٩] (القيامة: ١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين[1]

السلام على الحسين الشهيد الغريب أسير الكربات وقتيل العَبرات السلام عليه وعلى أصحابه أصحاب البصائر الشفعاء الأنوار، الطرق إلى الله تبارك وتعالى، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما

أحاول أن أبيِّن محكمات مسيرة الإمام الحسين (ع)، ذكرت في بعض الليالي السابقة أن الحسين (ع) كان يُمنَع من المسير من قِبل بعض الناس، كل من التقى به منعه عن هذه الوجهة وحذّره من القتل، فحسب تصورهم أن هذا الموت وهذا القتل هو قتلٌ عابث، كل هؤلاء بدرجة وأخرى كانوا يحبون الحسين (ع)، لكن التصور الموجود في أذهان هؤلاء أن القتل في سبيل الله لا يتحقق بتلك الصورة، يعني ما كان يخطر في بال أحد أن مقتل الحسين (ع) في تلك المسيرة يكون قتلا في سبيل الله، فحسب تصوراتهم –المتدينين منهم بطبيعة الحال– أن القتل في سبيل الله هو أن يُقتل الإنسان في الحرب، كان هنالك بعض المسلمين يخرجون إلى الحروب القائمة في ذلك الحين مع الكفار –مع الروم مثلا– قربة إلى الله، كثيرون كانوا يريدون الدنيا، وهنالك فئة كبيرة كانت تجمع بين الدنيا والآخرة، هنالك فئة قليلة كانت تريد الحرب في سبيل الله بتصورهم أن هذا الإنسان إذا يُقتل هناك كان قتله في سبيل الله، فكان هذا القتال يستحق أن الإنسان يضحي لأجله، أما مقتل الحسين (ع) لا يكون في سبيل الله

ذكرت أن أعداء الحسين (ع) هيّؤوا له –بمكر الله تعالى– أرضيةً لأن يتفاعل الناس مع الحسين (ع) ويتعاطفوا معه ويقتربوا من مبادئه، قلت أن في مسيرة الحسين (ع) يوجد أمران بارزان، الأمر الأول: هو مظلوميته البارزة جداً، والأمر الثاني: هو مبدئيته ودينه، لم يكن من الممكن أن يقترب الناس من مبادئ الحسين (ع) ويتعرفوا عليها ويؤمنوا بها –بدرجة وأخرى– إلا أن يتعاطفوا معها، لم يكن هنالك أي منفذ آخر غير منفذ النفس، التفاعل النفسي مباشرة، فالحسين (ع) عن طريق العاطفة دخل القلوب، وباعتباره

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٨ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

كان يجسد ديناً فالناس آمنوا بمبادئه (ع) وتفاعلوا معها بدرجة وأخرى، بطبيعة الحال لم يكن كل هؤلاء عرفوا الحسين (ع) حق معرفته فتحرروا بذلك، تلك الرابطة التي كانت تربط الناس في ذلك الوضع الهرمي تفتتت، تحقق ذلك الوعد في الكلام الذي يُنقل عن الحسين (ع): (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأَمَة)[٢]، الفرم هي خرقة تستعملها المرأة حين الحيض والنفاس، هكذا في اللغة يضرب بها المثل في أي شيء منبوذ وذليل ومرفوض فالإنسان لا فقط بمنطقه يرفضه بل كذلك نفسه تشمئز منه، هؤلاء أصبحوا كذلك بعد أن كانوا مسيطرين

ذكرتُ بعض النصوص، والمسائل واضحة حتى إذا لم تكن هنالك نصوص كثيرة على هذا الأمر فالإنسان يستطيع أن يعرف، مثلا يُنقل عن يزيد بن معاوية أنه حينما أراد ذلك الشامي إحدى بنات الحسين (ع) لتكون جاريةً له فهذه البنت خافت وزينب تصدّت لذلك الشخص وقالت ليس ليزيد أن يفعل هذا، هناك يزيد قال والله لو شئت لفعلت، فقالت له زينب إلا أن تخرج من ديننا، المسلم لا يُسترَق المسلم حتى إذا أُسر لا يصبح عبدا، هذا قانون ونظام معروف، فقال لها: إن الذي خرج من الدين هو أبوك وأخوك يا عدوة الله، فينقل أن زينب قالت: أنت أمير، تَشتمُ ظالماً وتَقهر بسلطانِك، فكأنّه استحيا وسكت[٣]، على أي حال هؤلاء هكذا كانوا يتعاملون مع القضية أنهم يستطيعون أن يفعلوا أي شيء يشاؤون، ببطش كانوا يتعاملون مع المسألة ولا شيء يمنعهم، بطشوا بالحسين (ع) وأصحابه وهيّؤوا كل أرضية البطش الشديد، عبيد الله بن زياد هو الذي هيأ ذلك الجيش الكبير الذي كان يحتوي على أناس مختلفين، فيهم أناس كثيرون كانوا قد بايعوا الحسين (ع)، وهم الذين هيّؤوا للحسين (ع) أن يُقتل في مكان مكشوف، وهم الذين هيّؤوا للحسين (ع) أن لا يطول الزمان ولا يقصُر كذلك، ما كانوا يقصدون هذا الشيء لكنه نتج عن تخطيطهم

من الأشياء التي ذكرتها تلك الليلة هي المقارنة، هذه المقارنة ضرورية دائماً، الإنسان لا يستطيع أن يعرف إلا أن يقارن، هذه المقارنة أرضيتها وُجدت، كان هنالك فئة تتعامل مع أُمة، أنا إلى الآن بالضبط لا أدري لو كانت هذه الكلمة صحيحة لزهير (إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة

---

(٢) تاريخ الطبري (٥/٣٩٤)

(٣) الإرشاد (٢/١٢١)

وأنتم أمة)[٤]، هل نسبتها إلى زهير صحيحة؟ وهل كان يعني هذه الكلمة؟ ثم أنه ماذا بالضبط كان يقصد؟ لا أدري، لكن على أي حال هؤلاء كانوا أمة في ذلك الحين، كذلك ربما ما كانت قد وصلت الحالة في هذه المرحلة إلى الأمة التي تتقاتل مع أمة أخرى، فهم كانوا أمة وكانوا مرصودين وكانوا يقارنون

أئمتنا (ع) –قسم كبير منهم– كانوا حسب ظاهرهم مع الناس، يعني ما كانوا يلفتون الأنظار، وعلى هذا الأساس –كما قلت– حتى الإمام الحسين (ع) بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) عشرين سنة هو كان بالمدينة ولا يُنقل عنه شيء بارز في حياته ضمن هذه السنين، معنى ذلك أنه كان مع الناس، يعني ما كان يلفت النظر أو لو كان يلفت النظر لا يُهتم به، في هذه المرحلة تصرفاته وأقواله كانت تُرصد، يرصده أناس، هؤلاء الناس بكُوه فيما بعد، بكُوه يعني انفتحت أبواب نفوسهم لتلك المواقف وتلك الأقوال التي رأوها وسمعوها من الإمام الحسين (ع) ومن أصحابه (ع)، وهذه الحالة توفرت لأمير المؤمنين (ع)، وللإمام السجاد (ع) نتيجة استشهاد الحسين (ع)، وتوفرت بمقدار للإمام الرضا (ع) وقلما توفرت لأي إمام آخر، الناس بشكل طبيعي كانوا يقارنون بين هذه المبادئ

كانت هنالك للإمام الحسين (ع) أقوال وكانت هنالك مواقف، أقوال الحسين (ع) قليلة أما مواقفه كثيرة، على الرغم من أن مواقفه لم تُنقل بتفاصيلها لكن بشكل طبيعي حينما يراقب الإنسان شخصاً يرى سلوكه أكثر مما يسمع حديثه، كذلك الذي أنا أفهمه أن الحسين (ع) لم يكن يتكلم كثيرا، والكلام يكون تأثيره أقل من تأثير العمل، بل الكلام إذا لم يكن معه عمل يكون تأثيره تأثيرا عكسيا، لا أقصد أن الإنسان حينما يقول شيئا يطبقُه تماماً فهذا قد لا يكون ممكنا لكن شرايع الكلام التي يقولها الإنسان –دينه– ومحكماته التي يبيِّنها بحديثه هذه المحكمات يجب أن تتبَين في شرايع سلوكه أيضا ويجب أن يكون هنالك ترابط بين الأمرين، فإذا لم يكن كذلك وكان فقط يتكلم هذا معناه أن هذا الكلام بالنسبة له ليس دينا، وإلا لظهر في محكمات حياته بدرجة وأخرى، لكل إنسان محكمات في حياته، يعني رغباته المحكمة، الحسين (ع) لم يكن يتحدث كثيرا –حسب فهمي– والأحاديث التي نُقلت عنه (ع) يوجد فيها اختلاف

---

[٤] البداية والنهاية (٨/١٩٤)

أما في المواقف فالاختلاف يكون أقل، ولعل السبب أن تحريف المواقف لا يحصل بسهولة وبيُسر كما يحصل عند تحريف الكلام، مثلا شخص يتحدث وله مبادئ يريد أن يطرحها ضمن هذا الحديث ولا يريد أن يتكلم مجرد كلام، في هذا الحديث قطعا توجد أخطاء هامشية –لغير المعصوم– هذه الأخطاء لا تؤثر على شريعة هذا الحديث ولا تؤثر عادة على محكمات هذا الحديث، بعض الأحيان شخص يستمع لهذا الحديث فيتلقاه ويركز على نقطة معينة في هذا الحديث فينقل الحديث إلى غيره من دون أن يختلق شيئا ومن دون أن يُدخل في هذا الحديث كذبا، لكن مجرد التركيز على نقطة معينة من الحديث سوف يشوّه الحديث فيصبح الحديث شيئا آخر، هذه القضية مجربة والإنسان يستطيع أن يفهمها في حياته، في كثير من الأحيان الشخص حينما يتعامل مع الحديث يسمع بطريقة خاطئة، قد لا يتقصّد أو يتعمّد، مثلا أنت حينما تستمع إلى شخص وتكون لك مواقف عاطفية تجاه هذا الحديث فقطعا حينما تسمع هنالك عناصر في هذا الحديث تبرز في ذهنك وعناصر أخرى تُلغى حسب ما في ذهنك من توقعات وترَقُّب تجاه هذا الحديث، أما إذا رأيت موقفاً فتوقعاتك وترقُّبك يكون تأثيرها أقل على فهمك وعلى رؤيتك للموقف

مثلا نقرأ في قضية تعامل الحسين (ع) مع أصحاب الحر، بالمقدار الذي أنا قرأت المقاتل المختلفة تنقل القضية بنفس الصيغة، مواقف كثيرا ما تنقل، أقرؤها للتذكير:

(ثم سار صدر يومه حتى انتصف النهار، إذ كبَّر رجلٌ من أصحابه. فقال الحسين: الله أكبر، مم كبرت؟ قال: رأيت النخل. فقال له جماعة من أصحابه: والله ما رأينا في هذا المكان نخلةً –قط–، فقال الحسين: فما ترونه قالوا: نراه أسِّنة الرماح وآذان الخيل، قال الحسين: أنا –والله– أرى ذلك...

وجاء القوم زهاء ألف فارس مع رئيسهم الحر بن يزيد الرياحي وكان قد بعثه ابن زياد من الكوفة ليحبس الحسين عن الرجوع إلى المدينة أينما وجده، ويُقدم به الكوفة، فجاؤوا حتى وقفوا أمام الحسين (ع) في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحر، والحسين وأصحابه معتمون، مُتقلدوا أسيافهم، فلما رأى الحسين ما بالقوم من العطش أمر فتيانه أن يُسقوا القوم ويُرشفوا الخيل تَرشيفا –يعني يعطوا الخيل مقدارا من الماء لا ماء كافيا ربما لقلة الماء–، ففعلوا، وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عُبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه، وسقي الآخر، حتى سقوهم هم وخيولهم عن آخرهم)

(قال علي بن الطحان المحاربي كنت مع الحر –يومئذٍ– فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنِخ الراوية –والراوية عندنا السقاء– فلم أدرِ ما يقول؟ ثم قال: يا ابن الأخ، أنِخ الجمل، فأنَخته، فقال اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: أخْنِث السقاء –أي اعطفه– فلم أدرِ كيف أفعل؟ فقام الحسين بنفسه فخنَثه، فشربت وسقيت فرسي)[٥]

هناك أحاديث تُنقل عن الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء، ينقله كتاب الإرشاد بصيغة وينقله صاحب المناقب بصيغة أخرى وينقله صاحب اللهوف بصيغة ثالثة، أريد أن أقرأ وأنتم تدبروا والمقارنة ضرورية جداً، حسب فهمي سنجد فيما نُقل أن الحسين (ع) في الحديث الأول يختلف عن الحسين (ع) في الحديث الثاني ، يعني لو كان أي من هذه الصيغ صحيحا فسوف يبرز الحسين (ع) في النفوس –في نفوس هؤلاء وفي نفوسنا كذلك– إذا نحن أردنا أن نتعامل مع الحسين (ع) كدين وكمعلم لدين فسوف يَبرز في نفوسنا شخصان لا نستطيع أن نجمع بينهما، سوف أقرؤهما لكم

في الإرشاد الشيخ المفيد (رض): (ثم دعا الحسين (ع) براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته يا أهل العراق وجلهم يسمعون، فقال أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعِظكم بما يحق لكم علي وحتى أُعذِر عليكم فان أعطيتموني النَّصَف –يعني أنصفتموني– كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمِعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثم اقضوا إلي ولا تنذرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على النبي وعلى ملائكته وأنبيائه فلم يُسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ منه في منطق –هذا فيه مبالغة لأن أمير المؤمنين (ع) كان، أساساً البلاغة بمعنى أداء ما يفكر به الشخص، كل هؤلاء كانوا بلغاء– ثم قال: أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه

[٥] مقتل الحسين للسيد محمد تقي بحر العلوم (١٨٧)

أهله، وإن كذّبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أمَا في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك

ثم قال لهم الحسين (ع) فإن كنتم في شكٍ من هذا، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم -عادة حينما يقال ويحكم يعني رحمة بكم ويحكم، ويح فلان ويح عمار تقتله الفئة الباغية، ويح ليس معناه التهجم على شخص والإساءة إلى شخص الذي يقال ويحك- **ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟! فأخذوا لا يكلمونه فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجند؟ فقال له قيس بن الاشعث...، ثم قال الحسين (ع) لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد ثم نادى يا عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون وأعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)[٦]، هذه صورة**

هنا صورة ثانية ينقلها المجلسي (رض) عن شخص يقول: (وتقدم الحسين (ع) حتى وقف بإزاء القوم فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة فقال الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفةً بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نقمته وجنّبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم -هلاكاً لكم- **ولما تريدون، إنا لله**

---

[٦] (الإرشاد ٢/٩٧)

وإنا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين -هذه صورة ثانية لنفس القضية، ويستمر بعدئذٍ- **اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني فإنه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم ولعله قد بلغكم قول نبيكم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**[٧] **إلى الأخير، هذه صورة ثانية**

أنقل مثالا آخر للصورة الثانية (ثم إن الحسين (ع) ركب فرسه -وقيل ناقته- وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه، وتقدم نحو القوم، فاستنصتهم -يعني طلب منهم أن ينصتوا- **فأنصتوا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي محمد وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأبلغ في المقال، ثم قال: يا قوم، إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله، ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة، وعن جده رسول الله (ص)، وأبيه أمير المؤمنين (ع)، وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين، وجدته خديجة أم المؤمنين، وعن عم أبيه...**

فسألهم عما أقدمهم على قتله، واستحلال دمه؟ فقالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا

فقال (ع): تباً لكم أيتها الجماعة وترحا -يعني هلاكاً وعذاباً عليكم- **أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أولياؤكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدلٍ أفشَوه فيكم. ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيّل لكم فهلاّ لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يُستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيَرَة الدبى وتهافتم عليها كتهافت الفَراش، ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأَمَة، وشُذاذ الأحزاب، ونَبذة الكتاب، ومُحرِّفي الكلم، ونفثة الشيطان وعُصبة الآثام، ومُطفئي السُنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومُبيري عترة الأوصياء، وملحقي العِهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصُرّاخ أئمة المستهزئين (الذين جعلوا القرآن عضين) (ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون)**

---

[٧] (بحار الأنوار ٤٥/٥)

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وعنا تتخاذلون، أجل –والله– غدرٌ فيكم قديم، وشجَت عليه أصولكم، وتأزرت عليه فروعكم وثبتت عليه قلوبكم، وغَشيَت صدوركم، فكنتم أخبر ثمر شَجىً للناظر، وأُكلةً للغاصب. ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، فأنتم –والله– هم

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة –يعني بين سل السيوف بين القتل– والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهُرت، وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام

ألا وقد أعذرت وأنذرت، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وكثرة العدو، وخذلان الناصر، ثم أنشد:

فـــإن نَهزِم فهزّامون قِدْما وإن نُهزَم فغير مُهزّمينا
ومـــا إن طبّنا جبنٌ ولكن منايانا ودولة آخـــرينا
إذا ما الموت رفّع عن أُناسٌ كلاكـــلهُ أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكمٌ سروات قومي كما أفني القرون الأولينا
فلو خَلدَ الملوك إذن خُلِدنا ولو بقي الكرام إذن بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقـــوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يُركب الفرس حتى تدور بكم دوران الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عَهدٌ عَهِده إليّ أبي عن جدي رسول الله، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم

ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلِّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مُصّبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

واستدعى الحسين عمر بن سعد –وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه– فلما حضر قال له: أي عمر، أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بن الدعي بلاد (الري وجرجان)؟ والله لا تتهنأ بذلك أبدا، عَهدٌ معهود، فاصنع بما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخِرة، وكأني برأسك على قصبة قد نُصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم

فغضب ابن سعد من كلامه، وصرف وجهه عنه، ثم نادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أُكلةٌ واحدة...)[٨]

هل تلاحظ بأن فيما نُقل يوجد حُسينَان؟ في الصورة الثانية الحسين (ع) يهاجم ويتهجم ويستفزهم ويتعامل معهم من موقع إنسان مُستَفَز! يَدعو عليهم يلعنهم ويسبهم وهكذا، الإنسان الذي يتعامل مع مظلومية الحسين (ع) يعني باعتباره مظلوما يبكي مظلوميته وشعر بمظلوميته فنفسه تنفتح له –بطبيعة الحال الإنسان قد يُصنع له جو يُبكيه فيبكي بتأثير الجو الذي هيء له–، فالحسين (ع) حينما يدخل نفس الإنسان، أي حسين يدخل نفسه؟ هذا النوع من الحسين! هذا الحسين يختلف عن ذلك الحسين الذي كله دعوة وكله دين وكله عقل وكله قرآن وكله إسلام، في تلك الصورة الحسين (ع) لا يوجد في نفسه أي حقد تجاه أي أحد (لا تريدون؟ أرجِع) وحينما يتحدث معهم يُعذِر، لِمَ أتى؟ إذا تُفكّر تستطيع أن تربط الأمور بعضها ببعض، أي من الأمرين هو مشتهى؟ أي من الأمرين يؤثر على الإنسان أكثر؟ قطعاً الصورة الثانية التي قرأتها هي تستطيع أن تستفز الإنسان بالحسين (ع)، أي إنسان؟ الذي ورث الارتباط بالحسين (ع) من أبيه ومن مجتمعه هذا الإنسان يُعجبه هذا الكلام، إذا سمعت أن شخصا سبّ عدوه وما أبقى في قلبه شيئاً تجاهه، تلك الرواية الصحيحة المعتبرة أن بعض اليهود دخلوا على رسول الله (ص) –من المحتمل أن هؤلاء كانوا في الذمة– قالوا: السام عليكم –يعني الموت عليكم– فعائشة لم تُطق وقالت السام والعذاب عليكم يا أخوة القردة والخنازير يا فلان، فرسول الله نهرها (إن الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء)[٩]

أنا هكذا أرى، هذه صورة وهذه صورة، فحينما ينفتح باب قلبي على الحسين (ع)، أي من الحُسَينَين يدخل قلبي؟ يجب أن أعرف، الصورة الثانية تُثير العواطف أكثر وتُريح أكثر، لكن إذا الإنسان ربط الأمور

---

[٨] مقتل الحسين للسيد محمد تقي بحر العلوم (٤٠٤)

[٩] الكافي (٦٤٨/٢)

بعضها ببعض أي من الصورتين تؤثر فيه وتجعله يتعقّل أكثر؟ الحسين (ع) في هذه الصورة حينما قال لعمر بن سعد (أي عمر، أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بن الدعي بلاد (الري وجرجان)؟ والله لا تتهنأ بذلك أبدا، عَهدٌ معهود، فاصنع بما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخِرة، وكأني برأسك على قصبة قد نُصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم)، هنا من الطبيعي أن يغضب عمر بن سعد، أما زينب حينما يُنقل أنها خاطبت عمر بن سعد في اليوم العاشر حينما كان الحسين (ع) يُقتل فقالت له: (أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟)[10]، يقال أن عينُ عمر بن سعد دمعت فأدار وجهه

أي من المنطقين تراه صحيحا؟ وأي من الصورتين –كدين– هي الصورة الصحيحة للحسين (ع)؟ يجب أن نعرف هذه الأشياء[11]، كلمة واحدة من الممكن تُقحم ضمن حديث فتُحرِّف الحديث كله عن موضعه فتوجهه توجيهاً خاصاً، أو تُنتَزع كلمة من هذا الحديث فيصبح الحديث موجهاً إلى وجهةٍ أخرى، مظلومية الحسين (ع) كانت مظلوميةً بارزة تُبكي حتى العدو، يزيد بن معاوية حينما رأى منظر الأسرى رأى وضعاً مؤذيا فدمعت عينه، مظلومية الحسين (ع) هكذا، إذا نحن بالغنا في المظلومية وأقحمنا فيها أشياء للإبكاء الأكثر فهنا يصبح البكاء هدفا بنفسه! وإذا أصبح البكاء والإبكاء هدفا يدمر ما لأجله يجب أن يُبكى الحسين (ع) فيُدمر مبدأ الحسين (ع) ويُدمر دين الحسين (ع) ويدمر إمامة الحسين (ع) كبصيرة ونور ومعلم في الطريق وكشفيع إلى الله

إذن الإنسان لابد أن يتعامل مع ما يُطرح باسم الحسين (ع) بحذرٍ شديد، من يستطيع أن يفهم ويقارن بين هذا الكلام وبين ذاك الكلام، بين هذا الموقف وبين ذلك الموقف، بين الحسين (ع) وبين أعداء الحسين (ع)، أي صورة من الصورتين تجعل الحسين (ع) مثل الآخرين؟ وأي صورة من الصورتين تجعل الحسين (ع) مختلفا عن الآخرين؟ أي من الصورتين هي التي هزّت الأمة ككل فجعلتها تتفاعل –كلٌ بدرجة– مع الحسين (ع)؟ مَن يستطيع أن يقارن؟ لا أحد يستطيع أن يقارن إلا أن يكون له معرفة بدين الحسين (ع)

الإنسان يتمنى يا ليته كان مكان هؤلاء الذين كانوا يَرون الحسين (ع) مع أصحابه حتى يرى ويعرف الحق المتجلي في الحسين (ع)، هذه الغيوم وهذه الحُجب وهذا الظلام الدامس أن يُقال ويُتقبل كل شيء

---

[10] الإرشاد (١١٢/٢)

[11] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**مظلومون**)

باسم الحسين (ع)! أن يُعمل باسم الحسين (ع) أي شيء فيُتقبل ويُتلقى! فلا يصبح الحسين (ع) معلما في الطريق ولا بصيرةً ونوراً ولا إماماً يقود الإنسان إلى الله وحده، فلا يربط الإنسان بأمير المؤمنين (ع) ولا يربط الإنسان برسول الله (ص) ولا يربط الإنسان بالقرآن وفي الأخير لا يربط الإنسان بالله تعالى[١٢]، مع الأسف الحسين (ع) الآن ليس هكذا! لو كنت أنت في ذلك الحين ولو كان لك قلب ولو كنت تسمع وأنت شهيد وتُبصر كالحر لأبصرت، لأبصرت مواقف الحسين (ع)

مواقف الحسين (ع) قليلاً ما تُذكر، إلا القضايا العاطفية التي تُذكر فقط للإثارة وللإبكاء، هكذا طغت المظلومية المتصنعة التي صنعها أعداء الحسين (ع) لا المظلومية الطبيعية التي حدثت بكيد من الله تعالى، تُتصنّع له مظلومية زائدة لأن تُنتج بُكاءً أكثر أو لتجذب الناس أكثر! مواقفه أكثرها لم تذكر إلا نادراً، يجب أن يكون لك مقياس الآن، ما هو مقياسك؟ القرآن؟ منطق الحسين (ع) كان هو القرآن[١٣]، ارجع لمحكمات القرآن، يجب أن ترجع إلى القرآن حتى تفهم هل أن تلك الصورة هي صحيحة أو تلك الصورة هي صحيحة أو جميعهم مثل بعض! لا يمكن في نظري أن تكون هذه الصورة مندمجة مع تلك الصورة، الصورة الحاقدة صورة إنسان يتكلم بحقد ويخرج كل ما في نفسه! أم صورة إنسان آخر يحاول أن يكشف الضلال ويبصرهم كإمام؟ أيٌّ من الصورتين نفسك تجد الحسين (ع)؟ أنت يجب أن تعرفها، القرآن يجب أن يعطيك هذه الصورة، رسول الله (ص) يجب أن يعطيك هذه الصورة، يعطيك مقياساً للفهم وللمقارنة بين الصورتين واختيار إحدى الصورتين، كذلك سيرة أمير المؤمنين (ع)، هذا ضروري، إذن لا نكتفي، هذه الأيام بدأت تنتهي هذه الليلة التاسعة وتنتهي غداً بالليل، الحسين (ع) يجب أن لا ينتهي، يجب أن يبقى معلماً يشفعنا إلى آخر العمر، ويشفعنا بعدئذٍ إلى الجنة، والحمد لله رب العالمين

---

[١٢] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**دوام أمرهم ووحدته**)

[١٣] بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن (قرآن)**، فصل (**التدين بائتمام**)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين[1]

السلام على الحسين الشهيد قتيل العبرة وأسير الكُربة، السلام على الحسين المظلوم المجهول قدره، السلام عليه وعلى أصحابه الذين كانوا خير أصحاب، الذين فتحوا لنا الطريق وأضاؤوا لنا السبيل ونبهونا من الغفلة، الذين كلماتهم ودعواتهم ومواقفهم مازالت توقظنا وتشجعنا وتبصرنا وتقوينا، فسلام الله عليهم، سلام الله على تلك الأرواح الطيبات الزاكيات التي أناخت برحل الحسين (ع) وماتت لأجل الحسين (ع) وقتلت لأجل الحسين (ع) ولأجل دين الحسين (ع) ولأجل رب الحسين (ع)، فيا لتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما

أصحاب الحسين (ع) كأشخاص قد انتهوا، أما كمواقف وكدين وكعقائد وكطريقة مازالوا أحياء، وفي الجانب الآخر جيش عبيد الله بن زياد كأشخاص قد انتهوا، أما كطريقة وكدين وكمذهب فمازالوا أحياء مستمرين، إذا استطعنا أن نفكر في الأمر بحيث أن ننتزع من الأشخاص مواقفهم ودينهم سنجد أنهم لا يموتون بموت أجسادهم، العلماء بهذا اللحاظ أحياء وإن ماتوا (والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة)[2]، مبادئهم وطريقتهم موجودة، الإنسان إذا يراجع نفسه يجد أنه هو إما يفكر كما كان يفكر حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة، أو يفكر كما كان يفكر عبيد الله بن الحر الجعفي أو كما كان يفكر عمر بن سعد وعمرو بن الحجاج، فإذا عرف نفسه وعرف عمرو بن الحجاج وعمر بن سعد كمبادئ وكدين وكطريقة وكأسلوب وكهدف وعرف الحسين (ع) وأصحابه كدين وكطريقة وكأمة هنالك قطعا يعرف أنه هو مع مَن، لا يكفي أن الإنسان يقول (فمعكم معكم لا مع

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٩ محرم ١٤١٥ه ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) نهج البلاغة (الحكمة ١٤٤)

عدوكم)، أحاول أن أتحدث قليلا عن هؤلاء، عن أمة الحسين (ع)، لنفسي أتحدث ولعل الحديث ينفع غيري

الواقع أن الذين كانوا مع الإمام الحسين (ع) صَمدوا ولم يَتخلَّ أحدٌ منهم عنه (ع) بعد أن ثَبت لهم وتيقّنوا بالموت وبالقتل، لم يتخلّ عنه إلا شخص واحد يُقال أنه شرط على الحسين (ع) (...أقاتل عنك مَا رأيت مقاتلا، فإذا لم أر مقاتلا فأنا فِي حل من الانصراف...)[٣]، لأن نحاول أن نكون مثلهم فنحشر معهم نريد أن نعرف كيف حصل هذا؟

يُذكر في بعض المقاتل أن الحسين (ع) أراهم أماكنهم ومواقعهم في الجنة وعلى هذا الأساس كانوا يتسابقون إلى الموت، أنا لا أستطيع أن أقبل هذا الكلام، أولاً لأن هذا النص ليس مستنِداً إلى الإمام بصورة صحيحة، بالإضافة إلى ذلك هذا النمط من النصوص أجد عليها آثار الوَضع وآثار الجعل، رسول الله (ص) لم يكن يفعل مع أصحابه كذلك، فلم يُنقل أنه كان يُرِي أصحابه مواقعهم في الجنة وكذلك أمير المؤمنين (ع)، وليس صحيحاً ما يُتردد على الألسن –أو في بعض الكتب– أن الحسين (ع) يختلف عنهم، الحسين (ع) لا يختلف عن أبيه ولا يختلف عن رسول الله (ص)، ومن يعي ويتكلم أن الحسين (ع) كان يختلف عنهم فهذا في الحقيقة يُشوه الدين، فالدين أصله الإسلام أصله رسول الله (ص)، والحسين (ع) قيمته في أن يكون مجسِّدا لرسول الله (ص) ولمبادئه ولدعوته، كيف كان الحسين (ع)؟ أنطلق من ملاحظاتي الشخصية، هؤلاء كانوا بشراً كالآخرين، فأرى أنه توفرت في هؤلاء ثلاثة أمور:

الأمر الأول أنهم عرفوا الحق، وكانوا درجات في معرفتهم للحق فلم يكونوا كلهم بدرجة واحدة، مثلاً كان بعضهم يعرف الحسين (ع) ويعرف أنه إجمالاً على الحق، هذا المقدار من المعرفة، والبعض الآخر كان يرى الأمر أعمق من ذلك كان يعرف أن الحسين (ع) على حق وكان قبل ذلك يعرف الحق، هؤلاء كانوا أصحاب بصائر يعرفون الحق فيعرفون الحسين (ع)، هؤلاء كذلك كانوا درجات، معرفة الحق الشرط الأول للثبات ولأن يكون الإنسان أمة

---

[٣] تاريخ الطبري (٥/٤٤٤)

أصحاب الحسين (ع) كانوا أمة، كل واحد منهم كان أمة، تلك الأمة صغيرة بحجمها لكنها كانت كبيرة بسعة العالم وبطول الزمان، هؤلاء كل واحد منهم كان أمة، اجتمعوا قزعاً كقزع الخريف، قلّما كان يوجد بينهم روابط نسَبية قوية، وحتى إذا كانت توجد بينهم روابط نسبية كل واحد منهم كان قد اختار دربه واختار موقفه بنفسه، فالإنسان إذا أصبح أمة يختلف عن غيره ولا يتأثر بالآخرين، تنغلق القنوات بينه وبين الآخرين إلا أن يكون هو المعطي فدائماً هو الأعلى (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٤]، هؤلاء هكذا كانوا، المؤثرات الكثيرة التي كانت موجودة ما أثرت فيهم وما أضعفتهم، كانوا يُدْعَون إلى الدنيا وإلى الراحة وإلى الطمأنينة لكنهم رفضوا هذه الحالة، الإنسان يكون أمة بنفسه، من الضروري أن يكون الإنسان –كفرد– أمة لأن يكون من أمة رسول الله (ص)، إبراهيم (ع) كان أمة، من الضروري أن يتخذ الإنسان المؤمن إبراهيم (ع) إماما ويتّبع ملته

كيف يكون الإنسان أمة؟ هؤلاء كيف أصبحوا؟ حبيب كيف كان أمة وكيف أصبح أمة؟ مسلم بن عوسجة كيف كان أمة؟ ينقل أن مسلم بن عوسجة حينما وقع على الأرض وحينما حضر الحسين (ع) عنده مع حبيب بن مظاهر (فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله– وأهوى بيده إلى الحسين– أن تموت دونه)[٥]، مسلم بن عوسجة كيف أصبح أمة؟ زهير كيف كان أمة؟

عرفوا الحق، من الأهداف الرئيسية في ليلة عاشوراء حينما استمهل الحسين (ع) القوم هو أن يزيل أي مؤثر من المؤثرات الممكنة عن أذهان أصحابه ونفوسهم، ليختار كلٌ منهم مصيره ودربه (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا)[٦]، لو صحت تلك العبارة التي تُنقل أن الحسين (ع) قال: (ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد

---

[٤] (آل عمران: ١٣٩)

[٥] تاريخ الطبري (٥/٤٣٥)

[٦] مقتل أبي مخنف (ص١٠٩)

أصابوني لهوا عن طلب غيري)[٧] الحسين (ع) وفرّ لهم كل الأرضية لأن يكون كل واحد منهم أمة يختار ويحدد طريقه من دون تأثير أي مؤثر عليهم

كيف كان هؤلاء؟ عرفوا الحق، والمعرفة درجات، في ذلك الوقت المعرفة البسيطة التي أشرت إليها كانت تكفي، أي أن الإنسان يعرف الحسين (ع) إماما ولا يعرف إمامته لا يعرف ولايته لا يعرف المقاييس بامتداداتها فلا يعرف الحق في سعة أوسع من الحسين (ع) –ليشمل علياً (ع) ورسول الله (ص) والأنبياء (ع) كلهم– ففي ذلك الوقت حتى إذا لم يكن يعرف هذه الأشياء لو كان يعرف الحسين (ع) وحده إماما كانت هذه المعرفة تكفيه بدرجة، لأن الحسين (ع) كان تحت أبصارهم وكانوا يسمعون أقواله ويلمسون أعماله، أما الآن فهذا لا يكفي لأن الحسين (ع) حجبته عنا حُجب كثيرة فأقواله شُوِّهت كثيرا ومواقفه كذلك شُوِّهت كثيرا –وما شُوِّه من أقواله أكثر مما شوّه من مواقفه–، هل نعرف الحسين (ع)؟ لا نستطيع أن نعرفه لوحده (ع)، يجب أن نعرف الحق ثم نعرف الحسين (ع) هذا الأمر الأول

الأمر الثاني هو أن المعرفة وحدها كما يتصورها بعض الناس أنها هي عبارة عن معلومات هذه ليست معرفة[٨]، المعرفة لا تكون معرفة إلا أن تترسب في النفس فتصبغها بصبغتها فتتجسد فيها بصورة الرغبات الشديدة، فينجذب الإنسان إلى ما عرفه حقا، هذا ما يعبّر عنه بالإيمان[٩]، يعرف الحق مؤمناً به، هذا الشرط الثاني، قد يعرف الإنسان الحق ولكن لا يتخذه دينا بل يتعامل معه لعقاً على لسانه يلوكه ما دّرت معايشه فيأخذ دينه من مكان آخر ومن منابع أخرى، أصحاب الحسين (ع) الحق أصبح دينا لهم، هذان الأمران – المعرفة والإيمان– ميسوران لنا فنحن من الممكن أن نكون مثل حبيب وزهير ومسلم في المعرفة وفي الإيمان هذا ميسور

هنالك أمر ثالث كان متوفراً لهم وليس متوفرا لنا (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)[١٠]، الإنسان يعرف الحق يتدين بالحق يؤمن بالحق يرغب فيه بكل وجوده، يرغب ويعاني ويشعر بصراع شديد في داخله

---

[٧] نفس المصدر

[٨] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **رسائل ومقالات١ – الاعتقاد الصالح**

[٩] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**للإيمان نظام**)

[١٠] (البقرة: ٢٨٦)

نتيجة هذه المعرفة وهذا الدين لكنه قد يضعف في التمسك بالحق، وجود الحسين (ع) كان يعطي هؤلاء سنداً عمليا –هذا الذي أنا أقوله أنا أنطلق في هذه التصورات من نفسي وأرى أن هذه التصورات ليست تصورات خاصة بي وإنما النفوس متشابهة في هذه الثوابت التي أنا أتصورها ثوابت فهناك أنا أعرف الحق– قلت أن معرفة الحق درجات وأصحاب الحسين (ع) كانوا درجات في معرفة الحق، أؤمن بالحق وأرغب في الحق وأتمنى يا ليتني استطعت أن أجسد الحق كما جسده أصحاب الحسين (ع)، أتمنى بكل وجودي، أتمنى يا ليتني كنت أمة كما كان زهير أمة وكما كان عبد الله بن عمير أمة وكما كانت أم وهب أمة يا ليتني كنت مثلها

في تلك القصة (... فأخذت أم وهب امرأته عمودا، ثُمَّ أقبلت نحو زوجها تقول لَهُ: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية مُحَمَّد، فأقبل إِلَيْهَا يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه، ثُمَّ قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حُسَيْن، فَقَالَ: جزيتم من أهل بيت خيرا، ارجعي رحمك اللَّه إِلَى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس عَلَى النساء قتال، فانصرفت إليه)[11]

فأنا أعرف الحق بدرجة وأتمنى الكون معهم لأكون أمة كما كانوا لكن قد أضعُف، فعلاً أضعف، هكذا أفكر أني لو كنت مع الحسين (ع) ألم يكن (ع) يسندني ويذيب هذا الضعف حينما أنظر إليه وحينما أسمع تلك الأقوال وحينما أشاهد تلك المواقف، ألم يكن ضعفي يتبدل إلى قوة؟ هذا يحصل، فيا ليتني كنت مع الحسين (ع)

كل هذا الحديث لأن أقول لنفسي ولمن يرغب في الكون مع الحسين (ع) أن هذه هي الأشياء الثلاثة الرئيسية التي يجب أن تتوفر للإنسان ليكون مثلهم، الأمر الثالث ليس متوفرا الآن لكن لو ظهر الإمام القائم (عج) سوف يحصل الأمر الثالث[12]، الله يقوي به الضعف والضعفاء

فإذن المعرفة والإيمان ثم التعاطف على أساس من البصيرة، لو حصل هذا لكنا معهم ولاستجبنا لدعوة الحسين (ع)

---

[11] في معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري (١٠٣/٣)

[12] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي** (ع)، فصل (**الاستناد النفسي**)

أريد أن أقرأ بعض هذه النصوص عن هذه الليلة –ليلة العاشر من المحرم– (عن علي بن الحسين (ع) قال: إني لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تُمرِّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له، في خيمة له وعنده جون جوين مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيف الحسين (ع) ويصلحه وأبي يقول:

يا دهرُ أُفٍ لك من خليـــلِ كـــم لك بالإشراق والأصيـــلِ
من صاحبٍ وطالب قتيـــلِ والدهـــرُ لا يقـــنـــع بالبديـــلِ
وإنـــما الأمر إلى الجليـــلِ وكـــلُّ حـــي ســـالكٌ ســـبيلِ

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتُها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي فلما سمعت ما سمعته وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وهي حاسرة، حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي عليٌ وأخي الحسن يا خليفة الماضي وثمال الباقي، فنظر إليها الحسين (ع) فقال لها: يا أختاه لا يذهبن حلمك الشيطان وترقرقت عيناه بالدموع وقال لو ترك القطا لنام فقالت يا ويلتاه أفتُغتصب نفسك اغتصابا؟ فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشيةً عليها فقام إليها الحسين (ع) فصب على وجهها الماء وقال لها يا أختاه! اتقي الله وتَعزَي بعزاء الله، –يا أبا عبد الله ما كانت تكفيك همومك ويجب أن تهدئ أختكَ زينب وتهدئ الآخرين– واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق ويعودون وهو فردٌ وحده، وأبي خيرٌ مني، وأمي خيرٌ مني، وأخي خيرٌ مني، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة، فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أخية أني أقسمتُ عليكِ فأبِّري قَسَمي لا تشُقي عليّ جيبا ولا تخمشي عليّ وجها ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت ثم جاء بها حتى أجلسها عندي)[١٣]

هذا الشاعر هكذا يقول –ينقل[١٤] أن هذا أول شاعر نعى الحسين (ع) ورثاه–:

إذا العين قرت في الحياة وأنتمُ تخافون فـــي الدنيا فأظلم نورها

---

[١٣] الإرشاد (٢/٩٣)

[١٤] في مناقب آل أبي طالب (٣/٢٦٨)

مررتُ على قبر الحسين بكربلا ففاض عليه من دموعي غزيرها

فما زلت أرثيــه وأبكي لشجوهِ ويسعدُ عيني دمعهــا وزفيرها

وبكَّيت من بعد الحسين عصايبا أطافــت به من جانبيها قبورها

سلامٌ على أهل القبور بكربلا وقَلّ لهــا مني ســلام يــزورها

وينقل[١٥] عن دعبل أنه قال:

هلاّ بكيت على الحسين وأهلهِ هلاّ بكيت لمن بكاه مــحمدُ

فلقد بكــتهُ في السماء ملائكٌ زُهرٌ كرام راكعون وسُــجّدُ

لم يحفظوا حب النــبي محمــدٍ إذ جرعوه حرارةً ما تبــــردُ

قتلوا الحسين فأثكــلوه بسبطهِ فالثُّكلُ من بعد الحسين مبدّدُ

هذا حســينٌ بالسيوف مبضعُ متخضبٌ بــدمائه مستشهدُ

كيف القرار وفي السبايا زينبٌ تدعو بفرط حرارة يا أحــمدُ

يا جداه هذا حسينك مرملُ بالدماء ...

يا جد إن الكلب يشرب آمناً رياً ونحن وعن الفرات نطرّدُ

يا جد من ثُكلي وطول مصيبتي ولما أعاينه أقــوم وأقــعــدُ

فسلامٌ على الحسين، وسلامٌ على أصحاب الحسين، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، والحمد لله رب العالمين

---

[١٥] في مناقب آل أبي طالب (٢٦٣/٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين

السلام على الحسين الشهيد الغريب المجهول قدره المشوَّهة مسيرتُه، فيا ليتني عرفتُه وتمسكتُ به فحُشرت معه

أتحدث[1] باختصار عن تتمةِ ما كنت أريد الحديث عنه، شهادة الحسين (ع) حررت الناس، تلك الشهادة لو وضعت في موضعها ولم تُشوّه فهي الآن كذلك تُحرِّر الناس، وتلك الطريقة التي سلكها أبو عبد الله (ع) تثمر نفس النتيجة –بدرجة أقل بطبيعة الحال–، حسب فهمي ما حصل لم يكن معجزة وإنما كانت سُنة الله[2] وسنة الله دائمة (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)[3]، أحاول أن أوضح كيف أن شهادة الحسين (ع) أنتجت التحرر؟

كما تعلمون أن الناس كانوا يعيشون الوضع الهرمي فكان الناس كلهم مرتبطين بالإمامة التي كانت تجسد الدنيا، فيزيد كان يجسد هذه الإمامة وابن زياد كان يجسد هذه الإمامة وعمر بن سعد كان يجسد هذه الإمامة وغيرهم كذلك كانوا يجسدون هذه الإمامة فالناس كانوا يرغبون في حياة هؤلاء وفي إمامة هؤلاء بشيء من التعديل والتصحيح بطبيعة الحال، مثلا عمر بن سعد كان يريدُ أن يعيش في نفس اتجاه إمامة يزيد وإمامة عبيد الله بن زياد لكن كان يريد أن لا يُبتلى بقتل الحسين (ع)، وكذلك الحر بن يزيد كان يحاول أن يُحافظ على الرئاسة ويُحافظ على الدنيا ويسير على درب إمامة يزيد وعبيد الله فكان يريد أن يعيش الدنيا بكل أبعادها لكن كان لا يريد أن يُبتلى بقتل الحسين (ع) فكان يود أن يخرج من تلك الأزمة بعافية، وحينما وجد أنه لا يمكن الجمع بين الإمامتين ولا يمكن الاحتفاظ بالسير على ذلك الطريق إلا بأن يَقتل الحسين (ع) ويجابهه فترك ذلك الطريق، هكذا كان

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ١٠ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٦ – المهدي (ع)**، فصل (**للإيمان نظام**...)

(٣) (الفرقان: ٤٣)

قُتل الحسين (ع) وبتلك الصورة المؤثرة التي تهز النفوس، قلت أن أعداءه عملوا أقصى أنواع البطش في مقتله بتصور أن هذا سوف ينفعهم ويُثبِّت إمامتهم ولكن المظلَمة قد هزت الناس، وباعتبار أن الحسين (ع) جسّد دين الله في تلك المرحلة وتهيأت الأرضية لأن يرى الناس تصرفات الحسين (ع) فيُرى ذلك الدين، فالمظلَمة كانت شديدة جعلت الناس يهتزون ويتعاطفون مع الحسين (ع)[٤]، تلك المشاهدات دخلت قلوبهم فانفتحت قلوبهم، بطبيعة الحال الناس كانوا متفاوتين بعضهم كان يتدبر ويتعقل ويفكر ويربط الأمور بعضها ببعض كالحر بن يزيد فكانت الاستجابة سريعة وقوية وشديدة وعميقة، أناس آخرون لم يكونوا بتلك الدرجة، لكن كانت هنالك استجابة، ومن الأشياء التي حصلت كذلك بتخطيط إلهي ناتج عن مكر الظالمين أن هؤلاء حينما قتلوا الحسين (ع) ارتاحوا، بعدئذٍ لم يفكروا أن بقيَ شيء إلا أن يتهيؤوا للاستفادة من نتائج هذه المجزرة فيُزيِّنوا البلد، لكن الناس تفرقوا وتخلَّوا عنهم، في نظري لو كان هؤلاء يعلمون أن الناس كانوا هكذا يفعلون فإنهم كانوا يوجهون التعاطف مع الحسين (ع) لا أن يمنعونه

في بداية الأمر كما قرأتم وسمعتم أنهم منعوا التعاطف مع الحسين (ع)، يُنقل أن الصحابي زيد بن الأرقم في مجلس عبيد الله بن زياد بكى على الحسين (ع) فشدّدَ معه ابن زياد قال: لو لم تكن شيخاً خرفا لقتلتك[٥] وكذلك أبو برزة الأسلمي في مجلس يزيد حينما بكى قسى عليه يزيد وعاتبه[٦]، كانوا يريدون أن يمنعوا التعاطف لكن التعاطف ما كان من الممكن أن يُمنع فانفلت الأمر الذي كانوا يريدونه

في المرحلة الثانية –هذا الذي أريد أن أركز عليه– ماذا فعلوا؟ أقرأُ لكم نصاً في الطبري: (لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا، – لو صحت هذه الرواية فهذا معناه أنهم ما كانوا يحسبون ويعدون غير بني هاشم فقط– فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان فانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجبتُم عن محمد يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبدا ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه، وحدثوه الحديث قال فسَمِعَت دور

---

(٤) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين عليه السلام**)

(٥) تاريخ الطبري (٤/٤٥٦)

(٦) (٤٥/١٣٣) نقلا عن المناقب

الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن خريز –وكانت تحت يزيد بن معاوية– فتقنَّعت بثوبها، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله! قال: نعم فأعولي عليه وحُدِّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش، عَجّل عليه بن زياد فقتله قَتله الله)[7] أنا أفهم من هذه العبارة شيئا وهو أن يزيد بن معاوية حينما لم يستطع أن يمنع تعاطف الناس مع الحسين (ع) أراد أن يقود الموجة إلى جهة هو يريدها – حتى لو صحّت هذه الرواية فنحن نستطيع أن نعرف أن هؤلاء الأئمة –أئمة الدنيا– هكذا يفعلون، نستطيع أن نعرفه على أساس من التجارب البشرية والخلفية الذهنية التي توجد لدى كل إنسان، الحسين (ع) حينما قُتِل هَزّ مقتله تلك الرابطة التي كانت تربط الناس بالدنيا، حينما رأوا الحسين (ع) وأصحابه العظام كانوا يقبلون على الموت وما يخافون تحطمت الدنيا في أذهان الناس، فقد كانوا لا يبالون بالموت فحينما كان يُعرض على بعضهم الأمان ما كانوا يقبلون، فهذا أثّر على الناس فتحطمت الدنيا بكل أبعادها في أذهانهم وحينما تحطمت الدنيا في نظرهم اهتز هرم أئمة الدنيا، ذلك الهرم أساساً مبنيٌّ على أساس من عظمة الدنيا وقيمتها فحينما تحطمت الدنيا في نفوس كثيرين اهتز الهرم وانفلت– سوف أتحدث إن شاء الله في وقت آخر أنهم كيف ذلوا فأصبحوا أذلَّ فِرق الأمم أو أذل من فِرام المرأة، سوف أتحدث عن هذا إن شاء الله –، إذن عبيد الله بن زياد ماذا كانت قيمته؟ أنه يملك الدنيا وأنه يحيي ويميت حسب منطق ذلك الذي حاج إبراهيم (ع) إذ آتاه الله الملك

أصبحت الحياة لا قيمة لها، فالحسين (ع) باستشهاده وبمقتله أثبتَ وبَلور وأشهدَ الناس على أن هذه الدنيا لا قيمة لها، منطق علي الأكبر الذي كان كل أصحاب الحسين (ع) يجسدونه (...ألسنا على الحقِّ؟ قالَ: بلى، والّذي إليه مرجعُ العبادِ قال: فإنّنا إذاً لا نبالي أَن نموتَ مُحقِّينَ، فقالَ له الحسينُ: جزاكَ اللّه من ولدٍ خيرَ ما جزى وَلداً عن والدِه)[8]، أي شخص سمع تلك الأحاديث ولاحظ ذلك المنظر وتابع تلك المواقف أتفكر أنه ما كان يهتز؟ هؤلاء الذين يَؤمُّون الناس على أساسٍ من الدنيا هم في الحقيقة أذلة لكن الناس يتصورون أنهم أعزة، الوجهة هكذا كانت، كان هنالك تعاطف مع الحسين (ع)، هؤلاء الذين رجعوا من كربلاء بدأوا ينقلون الأحداث كما رأوها من دون أن يُحلِّلوا، من دون أن يأتي أحدهم ويُحلِّل الأحداث ويوجهها ويرتبها وينظمها ثم يبكي الناس بطريقة معينة! لم يكن الأمر كذلك بل كلٌّ يتكلم على سجيّته

---

[7] الطبري (٥/٤٦٥)

[8] الإرشاد (٢/٨٢)

وبعفويته، وعندما ينقل ما حصل يَبكي ويُبكّي الآخرين، هذا البكاء لم يكن بكاءً ساذجاً –كما هو الآن– وإنما كانت تُنقل معه مبادئ الحسين (ع)، هكذا قال الحسين هكذا قال ابنه هكذا قال حبيب هكذا قال مسلم بن عوسجة، هكذا قال شبث بن ربعي حينما قُتل مسلم بن عوسجة: ويلكم إنكم تقتلون خياركم، كم لمسلم من مواقف في الإسلام مشهودة[٩]، هكذا قالوا وهكذا صلوا وهكذا تكلموا وهكذا كانوا يقرأون القرآن، بعض الناس يقرأون القرآن لأجل الثواب والتبرك والتيمن أما هؤلاء فكانوا يقرأون القرآن كأن الآيات نزلت لهم وفيهم –يعني مواقفهم وأعمالهم حينما كانوا يعملون–، هذه المواقف كانت توجههم وكانت نفوسهم تتفاعل معها –بدرجة كما قلت– هنالك نَشطوا كلٌ بدرجة

الناس يبكون الحسين (ع)، لِمَ يبكونه؟ هل يبكونه كإمام في طريق الله؟ كإمام في طريق الآخرة؟ كإمام لتحرير الإنسان؟ كإمام لتصعيد الإنسان؟ كإمام لجعل الإنسان خليفة الله قيِّماً على الكون؟ كإمام لجعل الإنسان لا يتأثر بأي شيءٍ في هذه الدنيا ولا يتأثر بمن في يده هذه الدنيا فيتعامل معهم أنهم (كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)[١٠]، ويراهم (يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)[١١] هل هكذا كان أكثرهم يبكونه؟ لا

لو صح هذا الموقف من يزيد يعني أنه بدأ توجيه هذه العواطف لأن تتجه في اتجاه معين، وُجِّه أن الحسين (ع) قُتِل كابن بنت رسول الله لهذا يستحق البكاء، أعولي عليه وأقيمي المأتم، ربما هذا أول مأتم صريح في قصر، في قصر يزيد المأتم كيف يكون؟ وُجِّه هذا التوجيه، حينما زوجة يزيد تبكي الحسين (ع) فهذا يعني بأن التعاطف كان شديداً بحيث أنه غزا بيت يزيد كذلك، فالحسين (ع) حينما يُبكى من قبل هؤلاء هذا البكاء ماذا يعني؟ وكيف يصبغ مقتل الحسين (ع) وبأية صبغة؟ في قصر يزيد ينصبغ الحسين (ع) بصبغة الأذهان التي تعيش في قصر يزيد أعولي عليه وأقيمي المأتم ابكِ على الحسين لكن لا كإمام حطّم الدنيا وحطّم عرش يزيد وسند يزيد وتاريخ يزيد ومستقبل يزيد، يزيد كمَعلم في هذا الخط الممتد، إنما يُبكى فقط لأنه عزيز قريش ولد بنت رسول الله (ص) وفَلذَة كبد فاطمة فقط! يستحق البكاء ويُحرِق القلب لكن فقط هذا النوع من البكاء! هذا البكاء ماذا يعطي؟ لا يعطي أي شيء فتبقى تلك الإمامة على جبروتها

---

[٩] تاريخ الطبري (٥/٤٣٦)

[١٠] (الأعراف: ١٧٩)

[١١] (محمد: ١٢)

وأهميتها وأبّهتها ومع ذلك يُبكى على الحسين (ع)، حتى يزيد هيأ –كما قلت– في قصره وربما رتّب مجلساً جيداً وربما دعا أناساً آخرين حتى يسيطر على هذا الوضع هكذا أنا أفهم من هذا النص، حتى إذا هذا النص لا يكون صحيحاً نحن نعرف فلكل إنسان عقله وتجاربه وفهمه للأمور فيوَجَّه، هذه الأشياء عبارة عن قضايا إنسانية مجربة والإنسان يستطيع أن يلمسها في حياته وهو ليس بحاجة أن يبحث عنها في القرآن الكريم أو في الروايات

فيوَجَّه البكاء، هكذا ابكوا، شهادة الحسين (ع) كانت لهذا فقط! فالحسين يستحق أن يُبكى هو سيد الأحرار البطل الجبار الشجاع أَبيّ الضيم لم يقبل الظلم يستحق البكاء! كل هذه الأشياء تعني انصباب شهادته في مصب الدنيا، ويجب أن يكون له تفسير دنيوي فالإنسان حين يبكي الحسين (ع) ينفتح قلبه فيدخل الحسين (ع) في قرارة نفسه بصبغته الدنيوية المحرّفة، أخطر شيء بعد استشهاد الحسين (ع) هو هذا

بطبيعة الحال موقف يزيد ما استطاع أن يؤثر بسرعة لكن بدأ بالتدريج واستمر، وهنالك أناس كانوا يريدون أن يجمعوا بين الدين والدنيا وما استطاعوا لأن الحسين (ع) بقوة وصراحة استطاع أن يغلق أبواب الدنيا في وجوههم، عمر بن سعد إما يقتل الحسين (ع) أو يتخلى عن الدنيا، ما استطاع أن يجمع بين الدين والدنيا لكن بعدئذٍ بدأوا يجمعون بين الدنيا وبين الآخرة ويركبون هذه الموجة ويوجهونها، فيقيمون المآتم للحسين (ع)، ذلك الحسين الذي فقط في عشرة أيام من محرم يُبكى أو لآخر محرم أو لآخر صفر يقام له مأتم لكن بعدئذٍ ينتهي! لا كإمام يؤم حياتك! يُبكى لكن هذا البكاء أبداً لا يهز الإنسان ولا يغيره من قرارة نفسه ولا يوضح له أي شيء في هذه الدنيا فقط مجرد بكاء، هذه قضايا مجربة

إن شاء الله سوف أتحدث في الليالي الآتية وأرجو أن يجعل الله تبارك وتعالى لنا طريقاً إلى الحسين (ع) ويجعل الله الحسين (ع) شفيعاً لنا ونبكيه بعد أن نعرفه ونستشفع به لنتحرك على أساسه إلى الله وينوّر لنا الدرب، وفقنا الله تعالى لمراضيه والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين

هذه الليلة[1] أريد أن أتحدث باختصار عن بعض الأمور المختلفة وكلها مرتبطة بالعوامل التي من الضروري فهمها للتعرف على مسيرة الحسين (ع)، ذكرتُ في ليلة العاشر أن أصحاب الحسين (ع) كان كل واحد منهم أمة كما كان أصحاب رسول الله (ص) (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)[2]، لم يكن كل الذين كانوا مع رسول الله (ص) كذلك وإنما كانوا درجات لكن الظاهرة العامة هكذا كانت، هنالك أناس كانوا واقعاً بهذه الصورة وهنالك أناس آخرون كانوا يتأسّون بهم ويتقوون بهم فيكونون بتلك الصورة، الناس درجات فهناك إنسان بنفسه يعرف ويؤمن ويعمل وإنسان آخر يعرف أقل ويؤمن أقل ويعمل أقل، إذا توفرت له الظروف يعني إذا وجد إنسانا آخر إماما وأسوةً وسنداً كذلك يعمل أكثر، إجمالا أصحاب الحسين (ع) كانت الظاهرة العامة فيهم أنهم كانوا خير أصحاب، لا يُتوقع أن كل واحد منهم كان خير الناس بلحاظ معرفتهم وإيمانهم لأن الله (يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[3]، هذه قاعدة ففي أي مكان وُجد هذان الأمران –علمٌ وإيمان– فهذا الإنسان يرتفع، كلما زاد علماً وإيمانا ارتفع أكثر، هذا قلته كتمهيد

أصحاب الحسين (ع) كانوا أمة، كل واحد منهم كان أمة، حينما أقول كل واحد كان أمة يعني المجموعة التي كانت تشكل الظاهرة لذلك المجتمع الصغير هؤلاء كل واحد منهم كان أمة، تحدثت سابقا عن كيف يكون الإنسان أمُّة[4]، ولا تكتفوا بكلامي أطلب منكم أن كل واحد منكم يبحث عن كيف

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ١١ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) (الفتح: ٢٩)

(3) (المجادلة: ١١)

(4) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا نهج لي الطريق**، فصل (**لابد من صبر النفس مع المؤمنين**) وما بعده

يكون الإنسان أمة، ليس يعني مثلا أن الإنسان يبحث عنه كترف علمي، تعلمون بأن كون الإنسان أمة هذا ضروري، إبراهيم (ع) كان أمة، رسول الله (ص) أُمِرَ باتباع ملة إبراهيم (ع) ونحن كذلك مأمورون باتباع ملة إبراهيم (ع) وكذلك مأمورون بأن نتخذ من رسول الله (ص) أسوة، فإذن كيف نستطيع أن نتأسى بإبراهيم (ع)؟ لابد أن نعرف إبراهيم (ع) وأبرز سمة من سمات إبراهيم (ع) أنه كان أمة، ومن أبعاد ومظاهر كون الإنسان أمة أنه لا يتأثر بالناس يعني تحصل له مناعة تجاه الآخرين تجاه نظراتهم مقاييسهم أعرافهم، بدرجات بطبيعة الحال، قد الإنسان يضعف لكن لا يخرج عن ذلك النطاق الذي يجعله أمة

عدم تأثر الإنسان (الأمة) بالآخرين وبالنظرة الاجتماعية –بنظرة الناس– يختلف عن عدم تأثر الإنسان الذي يُعاند كما يعبّر عنه أنه (رأسه يابس)، يوجد نمط من الناس بهذا الشكل يعاند لا يقبل، هذا النمط من الناس موجودون وكثيراً ما يختلط الأمران مع بعض، يعني هل الإنسان على أساس من المبادئ يعرف الكفر فيقول (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)[٥]، أم لا هو أساسا لا يستطيع أن ينسق مع أحد وفقط هو لا يريد، هذه الحالة موجودة وكثيرا ما يختلط الأمر للشخص نفسه هذا لابد أن يُعرف

أصحاب الحسين (ع) ما تأثروا بالآخرين، كانت كل عوامل التأثير موجودة لكن مع ذلك ما تأثروا، أنا ذكرت هذا في وقت سابق وأردت أن أكرره لأمرين:

الأمر الأول: هو أن الإنسان لا يمكن أن يعرف الحق ويتمسك به إلا أن يكون أمة يعني أن يكون حراً بنفسه ولا يكون مرتبطا بنظرة الناس –سوف أبين كيف يكون الإنسان مرتبطا بنظرة الناس، بعض جوانب هذه المسألة واضحة ومعروفة ومهمة جدا–، مثلا أنا أسمع حديثا أو أقرأ بحثا فأُعمل فكري، نفترض بأن كل مقدمات المعرفة من الحرية وشروط أخرى متوفرة فيّ، أقرأ، أنا أقرأ، أفهم، أنا أفهم، أسمع، أنا أسمع، حسب تعبير القرآن الكريم لي قلب (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[٦]، يعني يستمع وهو منتبه مستنفر وحاضر هو يستمع، يستمع لهدف ولغاية لا يستمع يعني يسمع فقط –كثير من الناس هكذا– (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[٧]

---

[٥] (الكافرون: ١-٢)

[٦] (ق: ٣٧)

[٧] (الأعراف: ٢٠٤)

بهذا الشكل أنا أكون هكذا، هنا أفهم هذه الحقيقة المتبلورة في هذا المقال والحقيقة المتجسدة في هذا الحديث، أفهمها وأؤمن بها فتكشف لي أشياء أعتقد بها، هنا نفترض بأنني استطعت في تلك الحالة أن لا يكون هناك أناس آخرون في قرارة نفسي استفتيهم، أكثر الناس يستمعون للحديث أو يقرأون وهم نجوى حتى إذا كان واقعاً يريد أن يستمع

بعض الناس لا يريدون أن يستمعوا، فقط أن يسمعوا ويدخل الكلام في آذانهم وعلى هذا الأساس لا يسعى، يعني كثيرا ما حينما مثلا تقول لشخص هل قرأت؟ هل بحثت؟ يقول (ما لي خلق) أو (بعدين.. بعدين)! هذا معناه أن هذا شخص ما عنده سعي، يعني لا يوجد عنده هدف واضح حتى يسعى إليه وإلا لسعى، نفترض بأنه هو سعى، حينما يستمع أو يقرأ لأي كلام فهو يسعى ويريد أن يفهم الحقيقة، واقعاً هو يشعر بحاجة إلى فهم الحقيقة والاستزادة من الفهم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[٨]، لكن مع ذلك هذه الحالة موجودة فيه أنه حين يستمع يستفتي الناس الموجودين في قرارة نفسه أن هذا الكلام أقبله أم لا؟ أنتم ماذا تقولون أيها الناس؟ فنظرة الناس لديه دائماً هي المقياس، نفترض بأنني أنا تجاوزت هذه المرحلة ولا أهتم بنظرة الناس في وقت قراءتي لبحث، لكتاب، أو استماعي لحديث –نفترض– بأنني لا أهتم بنظرة الناس ونظرة الناس أنا تحررت منها

والأمر الثاني: أن هناك مشكلة وهذه المشكلة كذلك تتنافى مع كون الإنسان أمة، وهي أن الإنسان يستمع ويتقبل هذا الحديث ويكون حراً لكنه يرى بأن هذه الحقيقة الواضحة إذا أطرحها على الآخرين فالمفروض أن الآخرين يتقبلوها، أليس كذلك؟ ثم بعد ذلك الواقع الخارجي كيف يكون؟ هل تفكر بأن المسائل الحقيقية كلما كانت واضحة وجليّة الناس يتقبلوها؟ التجربة الواقعية ماذا تكون؟ قليل من الناس يعقلون (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)[٩]، أكثر الناس لا يعقلون (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[١٠]، إذن هو آمن بهذه الحقيقة فيطرحها على الآخرين ويحاول فيرى بأن الناس ما يتقبلوها فيؤثر ذلك عليه ويرتد على نفسه فيشعر بضعف، مجربين هذا الشيء أم لا؟ متى الإنسان يستطيع أن ينجو؟ إذا كان أمة، يعني لنفسه

---

[٨] (طه: ١١٤)

[٩] (العنكبوت: ٦٣)

[١٠] (سبأ: ١٣)

فقط يستمع ولنفسه فقط يقرأ كأنه لا يوجد معه أحد، بهذا المستوى الإنسان المفروض أن يكون متحررا، هذا عامل من العوامل التي تجعل الإنسان أمة

ومن الأشياء الرئيسية التي ذكرت أن مجرد كون الإنسان أمة لا يكفي بطبيعة الحال، فإبراهيم (ع) كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، بينما –مثلا– كارل ماركس كان أمة لكنه ما كان قانتاً لله حنيفا بل كان من المشركين، إذن الإنسان يكون خاضعاً لله وفي طريق الله يكون وحده في قرارة نفسه، بطبيعة الحال يسعى (وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت)[11]، لكن من دون أن يتوقع أن هذه الحقيقة التي عرفها وآمن بها سوف تؤثر على الآخرين، يسعى فإذا سعى يُحصِّل على ثوابه، هذه مسألة مهمة جداً كثيرون من الناس حينما يستمعون لحديث يستمعون ويقيسون صحته بلحاظ مردوده الاجتماعي أن هذا كم يكون له قابلية الانطباق على الناس وكم الناس يتقبلونه، هذه النظرة تتنافى مع كون الإنسان أمة، هذه المسألة يجب أن نعرفها، هذه نقطة أردت أن أشير إليها ويجب الانتباه إليها بدقة

هنالك ثلاثة أمور نحن بحاجة إليها لمعرفة الدين، أولاً: النصوص من القرآن الكريم والروايات، الروايات أو السنة بمعناها المتعارف المتجسدة في الروايات المروية عن رسول الله (ص) وعن الأئمة (ع) والمتجسدة في محكمات سيرة الأئمة (ع)، تلك النصوص بحاجة إلى بذل جهد ليُستفاد منها[12]

الأمر الثاني: هو العقل، ولا أقصد بالعقل هنا العقل الفلسفي[13] أنه مثلا الإنسان يأتي فيتعلم الأسس الفلسفية والطريقة الفلسفية كالتي طرحها أفلاطون وقبله أرسطو ثم بعد ذلك الفلاسفة المسلمون تبنّوها وطرحوها فالإنسان عليه أولاً يتعلمها ثم بعد ذلك يأتي فيتعقل![14] لا ليس هذا ما أقصده بل أقصد عقل الناس الفطري، والقرآن يخاطب الناس ورسول الله (ص) كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، الله

---

(11) الكافي (٢٨/٥)

(12) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**النصوص**)

(13) بيّن السيد (قدس سره) في كتاب **هكذا آمنت١ – الفكر والإيمان**، فصل (**العقل والتعقل**)

(14) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا بحثت١ – المنطق والكلام**

نزّل الدين على قدر عقول الناس، هذا العقل مشترك فأنا وأنت وكلنا نستطيع أن نتعقل، هذا الأمر الثاني أنت تتعقل وأنا أتعقل، لا يصح أنك أنت تعتمد على تعقلي أنا

الأمر الثالث: هو التجارب، لابد أن تعرفوا أن كثيرا من النصوص الدينية لا تُفهم بمجرد تحليلها اللغوي بل يجب أن يتعامل معها الإنسان بتعقّل، أنا الآن أذكر تجارب الآخرين وبعض النماذج، الناس مختلفون في التجارب –بطبيعة الحال– والطريق مسلوك فأي إنسان يكون أكثر تجربة يكون أفضل فهماً، ذكرت لشخص عزيز اليوم –كان هناك حوار– هل الثري أفضل أم الفقير أفضل؟ أنتم ماذا تقولون في نظركم؟ حسب المقاييس الدينية كمتدينين نحن نرى أن الفقير أفضل أم الغني أفضل؟ إذا نستقرئ المتدينين فأول جواب نسمعه منهم ماذا يكون في نظركم؟ على أسوأ التقادير يقول لا يوجد فرق، القرآن يقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٥]، يقول أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى فإذن لا فضل للغني على الفقير هذا صحيح؟ هذا يقولونه فلا أتصور أنه يوجد هنالك إنسان يتكلم باسم الدين إذا يُسأل أو يَكتب أو يَتحدث باسم الدين فيقول بأنه أيها الناس الغني أفضل عند الله من الفقير! ما أظن، لكن إذا تسأل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ كيف يكون الإنسان بحيث لا يُرجِّح الغني على الفقير ولا يرى الغني أفضل من الفقير؟ تفكرون بأن هذا لازم يكون فيه قرآن أو لازم تكون فيه رواية أم أن هذه قضايا عقلية وتجريبية؟

عدة أمور لابد أن تنتظم في نفس الإنسان حتى تثمر هذه الثمرة[١٦] وهي أن الفقير لو لم يكن أفضل من الغني فهو مثل الغني، تارة نبعّض ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ في القرآن أو في الحديث، تارة أخرى نريد أن نتعامل مع ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ كمقياس وكنظرة يجب أن توجَد، هذه النظرة إذا أردت أن تحصل في نفسك وفي نفوس الآخرين لابد أنك أنت تفكر، أنا وأنت –كلنا سواء– لابد أن نبحث كيف واقعاً يصبح الإنسان بحيث أن يرى أن أكرم الناس أتقاهم؟ هذه القضايا تجريبية الإنسان يعرفها إذا يتعقل ويبحث في داخل نفسه، يعني لا يصير فقط لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إذن هذا صحيح وهذا حصل في داخل نفسي، قطعاً هذا لا يحصل في الواقع، هنالك كثير من

---

[١٥] (الحجرات: ١٣)

[١٦] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في جواب الرسالة الرابعة من كتاب **رسائل ومقالات١ – الاعتقاد الصالح**

التغيرات يجب أن تحصل وكثير من المسائل يجب أن تتغير في نفسي حتى أشعر بأن المتقي أكرم، وأنه لا كرامة في الإسلام إلا للمتقي فقط

هنا الإنسان يبحث عن الغنى وآثار الغنى، ليس من الضروري أنني أنا –نفترض– أأتي فأقول لك أن هنالك رواية (عن أبي عبد الله (ع) قال: إن علي بن الحسين (ع) خرج في ثياب حسان فرجع مسرعا يقول: يا جارية ردي علي ثيابي فقد مشيت في ثيابي هذه فكأني لست علي بن الحسين)[١٧]، فأنت تقول هذه رواية واحدة، ثم أنك إذا تبحث فتجد أن هذه الرواية غير مسندة –أساساً هذه الرواية منقولة عن مكارم الأخلاق وروايات مكارم الأخلاق غير مسندة– فأول شيء يخطر في بالك من أين لك أن هذه الرواية صحيحة! لا، بل لابد أنك أنت تجرّب وتتعقل

مثلا هل أنت حينما تركب سيارة أو هذا الشخص الذي يشتري سيارة معيّنة ألا يبيع مقدارا من شخصيته لأجل هذه السيارة؟ فيرى أنه بهذه السيارة يصبح أفضل من نفسه بدونها، يعني هذه السيارة تعطيه قيمة أكثر مما هو عنده، هذه قضايا تجريبية هذا صحيح أو لا؟ أو حينما يلبس ملابس معينة يشعر أنه أفضل، لِمَ يلبس هذه الملابس المزينة؟ لِمَ يزين الحياة؟ هذا يعني بأنه يرى أن هذه الزينة تعطيه شيئا صحيح أو لا؟ بعض الناس يبحثون عن هذه الشخصية الكاذبة، وبعض الناس لا، غافلون، هذه القضايا تَعقليّه وتجريبية، حتى هذه الرواية إذا لم تكن موجودة الإنسان يعرف هذا الشيء، بل وحتى إذا تلك الرواية غير مسندة فالقلب يخشع لها، تخشع لها النفس حتى إذا هذه الرواية غير صحيحة الإنسان يستطيع أن يجرب هذا الشيء، مثلا ينقل أن رسول الله (ص) جعلوا له فراشاً وفيرا –يعني ربما طوَوا كساءه أربع طيات– فقال (ص): (ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة)[١٨]، حتى إذا هذه الرواية غير صحيحة أو غير موجودة هذه قضايا تجريبية أليس كذلك؟

كيف يحصل أن الإنسان يفكر أن الغِنى ماذا ينتج؟ كثير من المسائل يجب أن تُبحث لذلك، هذا من القضايا التجريبية التي يستطيع الإنسان أن يتعقلها ويجربها، يجربها على نفسه ويجربها على غيره هنالك

---

[١٧] في وسائل الشيعة (٣٦٤/٣) نقلا عن مكارم الأخلاق

[١٨] البداية والنهاية (٦٢/٦)

يستطيع أن يعرف، إذا الإنسان ما يعرف وما يؤمن وما يربط الأمور بعضها ببعض ولا يعرف الأمور بروابطها الشجرية مستحيل أن يعرف كيف يكون أكرم الناس عند الله أتقاهم، لا يستطيع أن يفهم إلا أن يراجع نفسه ويعرف كيف يؤثر الغِنى على الإنسان، هذه الرواية حتى إذا ما كانت صحيحة الإنسان يستطيع أن يجربها كثير من الروايات لا تُفهم إلا بالتجارب الشخصية والتجارب النفسية والقرآن كذلك (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)[١٩]، (من أتى غنيا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه)[٢٠]، حتى إذا هذه الرواية غير موجودة أنت جرّب حينما ترى غنياً هل تقوم له أو تحترمه؟ هل لغناه تحترمه؟ على الأكثر لغناه تحترمه، حينما تستطيع أن تراجع نفسك ماذا تجد؟ تشعر بأنه مقدار كبير من شخصيتك ذاب وأصبحت إنساناً أقل شأناً؟ هنا الإنسان لا يكتفي بهذا بل يبحث، هو حينما يحترم سيارة فارهة فيركبها –إذا يكون منتبهاً– يشعر بأنه واقعاً تنازل عن قسم كبير من شخصيته لأجل هذه الأشياء، هذه قضايا مُجربة والإنسان يستطيع أن يجربها

حينما أذكر السيارة أذكرها كمثال فلا أقصد السيارة بذاتها يجب أن هذا يُفهم، بعض الناس متصورين بأنه أنا أكره السيارة! شخص في وقت من الأوقات اتصل بي يقول أنه نحن نعرف أنك أنت تكره السيارة الكشخة! لا! أنا لا أكره السيارة بالخصوص وأساسا ليست المسألة هي مسألة سيارة! المسألة أعمق بكثير من السيارة، المسألة هي مسألة دنيا وآخرة، شجرتان، شجرة طيبة وشجرة خبيثة من جذورها، يجب أن يُنتبه لهذا الأمر

أنا طولت ما كنت أريد أن أركز على هذا، كنت أريد أن أتحدث عن سمة بارزة في مسيرة الحسين (ع) وسوف أتحدث عنها في الليلة الآتية إن شاء الله، وفقنا الله تعالى لمراضيه والحمد لله رب العالمين

---

[١٩] (الأعلى: ١-٣)

[٢٠] نهج البلاغة (حكمة ٢٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين[1]

ذكرت في ليلة السابع من المحرم أن مسيرة الإمام الحسين (ع) التي انتهت بشهادته فيها ركنان رئيسيان، الركن الأول: هو مظلوميته المظلومية الصارخة، الركن الثاني: هو المبدئية أو الدين، الإمام الحسين (ع) كان مظلوماً في الوقت الذي كان فيه مبدئياً ومجسداً للدين، وكان مبدئياً ومجسداً للدين في حين أنه كان مظلوماً

مظلوميته كانت ناتجة عن دينه وعلى هذا الأساس الناس تعاطفوا معه بعد استشهاده فمظلوميته هي التي أثّرت في نفوسهم، ثم عن طريق نفوسهم دخلت مبادئه ودينه الذي جسّده في ذلك الحين في أذهانهم بدرجة وأخرى وحصل هنالك تغيّر، فمجرد التعاطف[2] لا ينتج أي تغيّر –الإنسان يستطيع أن يجرب في نفسه بأن مجرد البكاء ومجرد التعاطف لا ينتج أي تغير– هؤلاء الذين كانوا في ذلك الحين قد تغيروا لا فقط تعاطفوا، العاطفة إذا تأجّجت قد تُنتج بعض المواقف الحادة هذا ممكن، يعني الإنسان ممكن –مثلا– شيء يثير عواطفه فيقوم بتصرفات معينة نتيجة هذه الإثارة، هذا ممكن لكن هذا الوضع لا يستمر لأنه تأثر عاطفي ثم تحصل حركة عاطفية وتنتهي، لكن هؤلاء استمرت حركتهم يعني اتخذوا مواقف وهذه المواقف استمرت، معنى ذلك أنه كان هنالك تغيُّر على أساس قناعات ومعرفة بدرجة وأخرى، بالتدريج هؤلاء كانوا بشكل عفوي قد شاهدوا أو سمعوا مظلومية الحسين (ع) وكذلك مواقفه وأقواله (ع) في ذلك الحين، إما رأوا بأنفسهم أو سمعوها من أناس هم بأنفسهم شاهدوا أو سمعوا، وهؤلاء ما كانوا يتصنعون

مثلا أنا أرى حادثة ثم أنقل هذه الحادثة لشخص آخر ذلك الشخص ينقلها لشخص ثالث ذلك الشخص الثالث ينقلها لشخص رابع بالتدريج الحادثة حينما تمر عبر القنوات النفسية والذهنية للأشخاص قد تنصبغ

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ١٢ محرم ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين (ع)**)

بصبغتهم بطبيعة الحال، هذا شيء مجرب، وبالتدريج كلما نحن بعُدنا فتلك الحادثة تتعرض في النقل لشيء من التشويه، هذه نقطة، نقطة ثانية تارةً أنا أرى حادثة وهذه الحادثة تؤثر فيّ فأتفاعل معها ثم أنقلها لغيري وأنا متفاعل معها، وتارة حادثة أراها فأريد أن أنقلها لغيري بطريقة معينة وأريد أن أؤثّر على غيري، ألا ترون أن هذين الأمرين يختلفان؟ يعني تارةً أنا أرى قضية أو أسمع شيئا أتفاعل معه وبعفوية أنقله إلى غيري، تارةً أخرى أنا أرى حادثة أريد أن أنقلها لولدي –نفترض– حتى أوجّهه في اتجاه معين على أساسٍ من هذه الحادثة، تفكرون أن النقل يختلف أم لا يختلف؟ أو يبقى النقل كما هو؟ في الصورة الثانية النقل لا يكون نقلاً عفوياً وإنما يتغير النقل، النقل يكون مخططاً ومبرمجا، فتُحذف منه أشياء ويُركز في النقل على أشياء معينة فالحادثة يصبح لها شكل مختلف، هذا مجرب هذه قاعدة عامة، بالنسبة إلى حادثة استشهاد الحسين (ع) كِلا الأمرين حصلا بالإضافة إلى شيء ثالث أريد أن أذكره هذه الليلة باختصار، هذا مقدمة

أنت تستطيع أن تثق وتعتمد على هذا الذي أقوله لأن هذا شيء أنقله إليكم ليس كقضية فكرية أو قضية استنباطية ففي القضايا الفكرية الناس متساوون بشرط أن يكون الذهن صافياً ونقياً، حسب قراءتي ومتابعتي للحادثة –مثلا– في الإرشاد للشيخ المفيد (رض) الحادثة تُنقل بطريقة، ذكرت في وقت سابق من المطمئن –يعني نِسبياً– أن الشيخ رضوان الله عليه ينقل الحادثة عن أبي مخنف إما مباشرة عن كتابه أو عن طريق بعض الرواة كهشام الكلبي مثلا الذي ينقل عنه الطبري، وعلى الأكثر رواية الطبري ورواية الإرشاد متشابهتان، أبو مخنف ينقل الحادثة بعض الأحيان بواسطة واحدة وبعض الأحيان بواسطتين لأنه هو كان يعيش في القرن الثاني، هذا أولاً

من أكثر المواضيع التي كُتب عنها في التاريخ هو مقتل الحسين (ع)، بالتدريج حينما نبتعد بالزمن مثلا نأتي إلى القرن السابع كتب السيد ابن طاووس اللهوف أو الملهوف مثلا أو آخرون كتبوا فتجد أن هذا يختلف أساساً عمّا في الإرشاد، قضايا تُذكر في هذا المقتل غير مذكورة في الإرشاد، وهكذا بالتدريج نصل إلى المقاتل المتأخرة توجد فيها أشياء لا توجد في الكتب القديمة، كلما بَعُدنا عن تلك المقاتل وتلك الحادثة تغيّر النقل، بالإضافة إلى ذلك أن الأحداث لم تنقل كما هي، هذا الشيء متوقع وإنما اُختير منها أحداث خاصة والتي تؤثر

تأثيرا عاطفيا أو تنفع نفعاً معيناً وفق مقاييس الكاتب للمقتل، فإذن هذا أثّر والبُعد أثّر فتعرَّضت شهادة الإمام الحسين (ع) لكثير من التشويه غير المقصود، فماذا يفعل الإنسان؟ هنا الإنسان بحاجة إلى أن تكون لديه قواعد ومحكمات واضحة حتى يستطيع أن يعرف على أساسها ما هي المبتدعات والمحدَثات، وما هي الأحداث الأصيلة

نحن نعتقد بأن الإمام الحسين (ع) هو مرتبط بأمير المؤمنين (ع) وارث أمير المؤمنين ووارث رسول الله (ص) فإذن هذا منطلق، حياة رسول الله (ص) سيرة رسول الله (ص) سنة رسول الله (ص) هي تشكل قاعدة، فأي عمل يُنقل من أعمال الحسين (ع) –وكذلك ما يُنقل عن سيرة أمير المؤمنين (ع)– يتنافى مع سنة أو سيرة رسول الله (ص) الواضحة فهذا العمل يجب أن نتعامل معه بحذر شديد، يعني نبحثه وندرسه، هذه نقطة

هنا أذكر شيئا، أنتم تلحظون أن التعامل العام مع الحسين (ع) يكون بحيث أن الحسين (ع) هو غير يعني يختلف عن غيره وبمعزل عن النبي (ص) والأئمة (ع)، تلحظون هذا الشيء؟ يعني تُعطى له قيمة مستقلة بمعزل عن ارتباطه برسول الله (ص)، إذا كان الأمر بهذا الشكل فهذا معناه أن ذلك المقياس ينهار ويزول يعني بهذا التعامل لا تستطيع أن تحكم على سيرة الحسين (ع) بمقياس سنة رسول الله (ص) أو محكمات سيرته، لا تستطيع لأنه يقال أن الإمام الحسين (ع) غير! نحن لابد أن نعتقد أن الحسين (ع) لا يختلف عن طريقة القرآن الكريم والطريقة التي بدأها الأنبياء (ع) ورسول الله (ص) وسار عليها أمير المؤمنين (ع) والأئمة (ع) كلهم كانوا يرغبون فيها[٣] لكنهم كانوا مستضعفين، هذا يجب أن نعرفه، فحتى هؤلاء المخلصين ذكروا أحداث مقتل الحسين (ع) بطريقة شوهتها، هذا متوقع، أنا لا أقول أنه بالضبط من فعل هذا الشي ومتى حصل لكن هذا متوقع والإنسان المؤمن يجب أن يعرف هذا الشيء

لاحظوا مثلا أنقل لكم رواية من كتاب كامل الزيارات (عن الحسين بن أبي غندر، عن أبي عبد الله (ع)، قال: سمعته يقول في البومة، قال: هل أحد منكم رآها بالنهار، قيل له: لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلا ليلا، قال: أما إنها لم تزل تأوي العمران أبدا فلما أن قتل الحسين (ع) آلت على نفسها أن لا تأوي العمران أبدا ولا

---

[٣] بيّن السيد (قدس الله نفسه الزكية) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**دوام أمرهم ووحدته**)

تأوي إلا الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنّها الليل، فإذا جنّها الليل فلا تزال ترن على الحسين (ع) حتى تصبح)[٤]، أولاً الإنسان يستطيع أن يفهم بأن البومة لم تُخلق كطائر جديد بل كانت موجودة بهذا السلوك في السابق، فإذن هذا النوع من الروايات كيف تُنقل، فنعلم بأن هذه الرواية غير صحيحة، فنحتمل أمرين: نحتمل أن شخصاً مخلصاً رأى أن هذا يثير مشاعر الناس لكنه بمستوى فهمه كان يتحرك ويتصور أنه هنالك بعض الأشخاص الذين لا يفكرون –وكثيرون من الناس لا يفكرون– فيقال لهم هذا الشيء وهذا بتصوّره يربط الناس بالحسين (ع)، وربما قال هذا الشيء عدو من أعداء الحسين (ع) حتى ماذا يفعل؟ يشوّه، لأن البناء الجيد إذا أُريدَ أن ينهدم فيُقحم ويُدخل فيه أشياء مزيفة، بالتدريج كل البناء ينهار ويتشوه، الناس لا يستطيعون أن يفرّقوا بين الصواب والخطأ فإذا وجدوا خطأً واحداً ضمن هذا البناء فتحصل –على أقل التقادير– حالة الشك في ذهنه تجاه كل البناء هذا ممكن، وهكذا

هذا المثال الذي ذكرته واضح لكن هنالك كثير من الأشياء الأخرى ليست واضحة، هنالك عملية تشويه قام بها أعداء الحسين (ع) بقصد وغفل عنها أُناس مخلصون، أقرأ لكم بعض النصوص، مثلا كتب أحد العلماء مقتلاً عن الحسين (ع) ينقل فيه عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (قيل لرجل شهد يوم الطف مع ابن سعد ويحك أقتلتم ذرية رسول الله (ص)، فقال: لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، لقد ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالا وتُلقي بأنفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيره فما كنا فاعلين لا أم لك)[٥]، أنت لو كنت تسمع هذا الشيء قبل الكلام الذي مهّدته لك فهل تشعر باعتزاز أم بماذا تشعر؟ هذا النوع من النصوص موجودة كثيراً في المقاتل بصيغ مختلفة، كاتب هذا المقتل إنسان مخلص وهذا حينما نقله شخص بإخلاص نقله، فكّر بأن هذه فضيلة لهم، وابن

---

[٤] كامل الزيارات ص١٩٩

[٥] شرح نهج البلاغة (٢٦٣/٣)

أبي الحديد حينما نقل هذا الأمر رأى أن ذاك العدو اعترف بفضيلة أصحاب الحسين (ع)، حينما ندقق ماذا نجد؟

لاحظوا –قبل أن أذكر رواية أخرى، أدعوكم أن تفكروا، لابد أن تفكروا، أنا أتعب حتى تفكروا وإلا بالإمكان أن أزودكم ببعض المعلومات وتنتهي المشكلة– في رواية أن معاوية قال: (إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه –الجود شيء جيد وكثير يرُكز عليه، الهاشمي جواد– وإذا لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه قومه وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه –أنت تفكر بأنه أي من هذه الصفات أفضل؟ الجود أفضل أو الشجاع أفضل؟– وإذا لم يكن المخزومي تياهاً –به زهو– لم يشبه قومه، فبلغ ذلك الحسن (ع) فقال ما أحسن ما نظَر لقومه أراد أن يجود بنو هاشم بأموالهم فيفتقروا ويزهى بنو مخزوم فتُبغَض وتُشنأ وتُحارِب بنو الزبير فيتفانَوا وتَحلُم بنو أمية فتُحَب)[٦] فإذن –حتى إذا هذه الرواية غير صحيحة– يوجد هذا النوع من التخطيط أم لا؟ هناك فضائل وصفات تُطرح للشخص فالإنسان يتمسك بها! نِعمَ الفضيلة هذه، كثير يُركز عليها ويُبالغ فيها فتتضخّم، وإذا شخص ماكر وداهية يطرح هذه الفضيلة لأن النفوس تشتهيها فتتشوّه الصورة الحقيقية لذلك الإمام أو النبي

أقرأ عليكم بعض النصوص وأُنهي الحديث، في الطبري (دعا يزيد عمر بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال لعمر بن الحسن: أتُقاتل هذا الفتى –يعني خالداً ابنه، خالد بن يزيد صغير– قال: لا –عمر بن الحسن بن علي قال لا، كان بين الأسرى– ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله، فقال له يزيد وأخذه فضمه إليه ثم قال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا الحية)[٧]، هذا النص كثيرا ما سمعت أنه يُذكر كفضيلة لأهل البيت أنهم شجعان حتى منذ الطفولة، لماذا يزيد يركز على هذا؟ بعنوان ماذا؟ أولاً هل هذه القصة صحيحة أم لا؟ لا أدري ربما أصلها مخترع، حتى إذا لم يكن مخترعا –لو كانت القصة صحيحة– فهذا يعني أن يزيد بن معاوية يوجّه القصة توجيهاً كما هو يريد، هل ترى ارتباطا بين هذا النص وذاك النص؟ فإذن يزيد يركز على هذا بأي عنوان؟ أن الحسين (ع) هو الذي أراد أن يقاتلنا فدافعنا عن أنفسنا فقتلناه، ماذا نصنع، (شنشنة

---

[٦] كشف الغمة (١٩٧/٢)

[٧] تاريخ الطبري (٣٥٣/٤)

أعرفها من أخزم) مَثل معروف أن شخصا آذى أباه أو قتله أو عذبه فقال شنشنة أعرفها من أخزم أنا الأخزم، أن هذه عادة فأنا هكذا فعلت بأبي

كذلك في البحار عن عمرو بن سعيد بن العاص حينما بلغه خبر مقتل الحسين (ع) قال في خطبته: (إنها لَدمةٌ بلَدمة وصدمةٌ بصدمة –وتكلم– قال: والله لوددت أن رأسه في بدنه، وروحه في جسده، أحياناً كان يسبنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان ولكن كيف نصنع بمن سَلّ سيفه يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا)[٨]، هذا النص دخل المقاتِل كفضيلة!

كم من الخصال الضالة تُعامل كفضيلة ودخلت في كتبنا كفضائل لأهل البيت (ع) بواسطة أعدائهم، الإنسان بحاجة إلى أن يميّزها إذا أراد أن يتعامل مع الإمام الحسين (ع) كإمام، إذا لا يريد ويكتفي أنه عايش حياته، عشر سنوات، خمسة عشر سنة، عشرين سنة من دون أنه في وقت من الأوقات فَكّر بأنه هو بحاجة إلى قراءة كتاب أو أنه بجد يبحث! إذا بهذا الشكل يتعامل "ماشي الحال" فيتّكل على غيره إذن لن يشعر بمشكلة، يعني لا يتعامل مع الحسين (ع) كإمام أبداً، أما إذا يريد أن يتحرك ويسعى (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[٩] ففي هذه الصورة لابد أن يعرف هذه الأمور كلها حتى لا يتشوه في نفسه وذهنه الإمام الحسين (ع)[١٠]، والحمد لله رب العالمين

---

[٨] بحار الأنوار (١٢٢/٤٥)

[٩] (طه: ١١٤)

[١٠] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن (قرآن)**، فصل (**النصوص الإرشادية لا تتشوه**)